

أَسْتَشَاقُ نَسِيمَ الْأُنْسِ
مِنْ
نَفَحَاتِ رِيَاضِ الْقُدْسِ

[illegible]

مکتبہ شستریتی فی ایرلندا (ش)

[illegible]

مکتبہ برنستون (ب)

كتاب أنشراح نسيم الان من نغمات راس
القدس اليها العلاب من الدين محمد بن زيد النيلي
قدوة الله عليه رحمه

نشيد الله الرحمن الرحيم . عفوكم اللهم
الغول الذي فتح على قلوب احبائه من فتح عينيه فحين فهم نوره وراح . وشج
صدور اوليائه بنور معرفته فاسروا عليهم نوره وكاح . اصحابهم بين رحاب
رحمته وغداهم برؤيته وبعينه لا تشال عما هم فيه من الشور والافراح .
فتبهم من ذكره قوت القلوب وقرة العيون وشور العرش وروح المعاش
وحياة الارواح . وتبارك الذي من خشيته تباركنا عن المصاحح المخبوف وربنا
رحمة تفقش عن قشر الخافض الكروب . وروح يحثه تطيق القلوب وربنا
ما طابت الدنيا الا ذكره ومعرفته ولا اخبرنا لا يقربه ورويته . فلم احص
من اهل الجنة لا شفاف اهل الجنة في الجنة كما يستغنى اهل النار في النار
واعلموا بالامجاد . لا قلوب تالم شوا فخرنا شوا لعلها صلاح . وكل صدق
من صحت ونقاء فخر صفة البشر ما انشراح . وكل نوره من صحت
فخر عظم الارواح والنواح . الله نورا القلوب والارض من نور كشمسها .
مصابح . احده ونور ذكره كما انشراح . واسكروا من نور خلوده على الفلكين
بالعقول والارواح . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة استشهدوا
تلاوا على الاعداء فتبع الجن ونعم السلاخ . واستشهدوا بها خالدا في دار السلام
لما بين شوا ما انشراح . واشهد ان محمد عبده ورسوله بعث مفسحا بجميد ما
اقبل من صفا العبد وشييل العبد على الابواب . فلم ير على الله عليه وسلم
يعززه الله فخره من حيد . في جميع النواح . ونور الله تعالى على لسان القلوب
الفاشيه واصلت كل السلاخ . وذكروا بالآله الله تعالى حتى انشراح القلوب
بصحة ما عظم الانشراح . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاه تكون شيع للانشراح .
عني على السلاخ وعلى الفلاخ . اسلمه فان الله خلق الخلق لعبادته لها معه
ولحنه ورجائه وبعينه . قال تعالى وما خلق الجن والانس الا ليعبدون
واغايد تبيح بعد العلم به ومعرفته فلذلك خلق العباد والامم وما فيها
للاشدلال بها على توحيد عظمته كما قال خليل الله الذي خلق شيع شرا
من الارض سلع من ينزل الامم من لعل ان الله على كل شيء قدير وان الله

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

وما آشد بعضهم سحر
اروح وقد ختمت علي قواري ، بحبل ان يحل به سواكا ،
فلو اني استطعت غصص طرية ، فلم ابصر يد حتى اراكا ،
احبل لا سمع صلي بكلي ، وان لم يبق حبك لي حراكا ،
ويقيم من سواك الفعل عندك ، وتفعله فيجز منك ذاكا ،
ومع الاحباب مخصوص بوجدك ، واحز يد غمي معه اشراكا ،
اذا اشتبكت دموعي في خدودك تبت من بكاء من يثاكا ،
فاما من بكاء فيذب وجدا ، وينطق بالهوام من قد تشاكا ،
لم الكتاب الحمد لله وعونه وصل له علمه يدنا ممد والم وصحه علم تنلما
كثيرا

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)، وهو المقدار الذي وجد من النسخة

مكتبة جامعة الرياض (س)

الاستعداد

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي ابتدأ أحبابه بمحبته، فكانوا أذلةً على من آمن بالله واستقام على شريعته، أعزةً على من كفر به وجحدته وجهر برذته، مجاهدين أهل الكفر في سبيله إعلاءً لكلمته، داعين إلى الحق لا يخافون فيه أحداً من بريته.

والصلاة والسلام على من أرسله الله لإرشاد عباده بهدأيته، سيدنا محمد المصطفى لرسالته، الهادي إلى الرشاد والداعي إلى جنته، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن تبعهم، وألحقنا بهم في دار كرامته.
أما بعد:

فهذا الكتابُ كتابٌ مجدّدٌ، جمع بين التخلية والتحلية، والتنقية والتزكية، فيه التنبيه على التخلي والنقاء من أباطيل البدع، وفيه التحلي والتزكي بأنوار السنن، فإنّ طولَ الأمد وبعد العهد عن زمان النبوة؛ تحتاج معه الأمة إلى من يجدّد لها أمر دينها في كل قرن، فينفي عن دين الله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، ويقيم لها معالم الشرع التي طُمِسَتْ، ويشيد مبانيه التي دَرَسَتْ.

ولما كانت صلة الخلق بخالقهم محصورة بباب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فلا وصول لأحد من هذه الأمة إلى الله إلا من باب محمد رسول الله، فمَنْ رام باباً غيرَه أو تسوّر عليه خاب وخسر؛ فلم يفلح ولم ينجح.

وهذا ما حصل لكثير من أهل البدع والأهواء، الذين جنحت بهم بدعهم إلى خلل في تصوراتهم الكلية، وسلوكهم وتصرفاتهم، كان له أثر في طريقة تدينهم، مما أشار إليه المصنف الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في مقدمة هذا الكتاب. فذكر بدعة الخوارج التي أثمرت تصوراً دينياً تحيط به دائرة الخوف، ويقذف الناس برجوم الحكم عليهم بالكفر!

وذكر بدعة المرجئة التي أثمرت تصوراً دينياً لا يقوم إلا على عمود الرجاء وحده، مما أدى إلى التهاون في التكليف، وانعدام الحمية للدين!

وذكر بدعة الحلولية التي أثمرت تصوراً دينياً يظن أصحابه بأنفسهم أنهم هم المحببون، وهم لم يحققوا شيئاً من شروط المحبة وعلاماتها ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل الله اتباع رسوله ﷺ علامة محبته، فمن صدق في الاتباع صدقه الله تعالى في المحبة، ومن لم يكن من أهل الاتباع لم يصح له إطلاق دعوى المحبة. فزعم هؤلاء الذين اكتفوا من المحبة بالدعوى أنهم أحباب الله! وقد سبقهم اليهود والنصارى إلى تلك الدعوى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨].

إنَّ تخلية القلب من تلك التصورات الباطلة هو شرط لتحليته بالأصول التي تنبني عليها العبادة التي يقبلها الله جلَّ جلاله ويرضاها ويحبها من عباده، وهي اجتماع: الخوف والرجاء والمحبة في آن واحد، دون خلل في واحد

منها، وبذلك بُعث الأنبياء عليهم السلام، وقامت دلائل الوحي والكتب المنزلّة، وذلك كان حال رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين من بعدهم، وهو حال الأولياء والصالحين من أمته ﷺ.

* * *

لكن تلك المشكلات التي أشار إليها المصنف رحمه الله تعالى - وهو في آخر القرن الثامن - ما تزال قائمة في الأمة، لكن في أثواب جديدة، وأنماط معاصرة زادت في بُعد أصحابها عن حقيقة الدين، وأودت بالبعض في مهاوي الإلحاد، وخرجت بالبعض من الملة، وهم يحسبون أنهم على خير!

* ففهمُ الدين على أنه مجرد قانون يجب الانضباط به خوف العقوبة الدنيوية أو الآخروية عند ارتكاب المناهي، أو الطمع بالجوائز الآخروية عند تحقيق الأوامر، دون أن يكون لذلك الانضباط أية أسباب من جهة الأمر الناهي سبحانه وسعي إلى رضاه وقربه والأنس به: أوصل أصحاب ذلك الفهم إلى الجفاء والقسوة والغلظة، والتنفير من الدين، فوقع بعض الناس جرّاء ذلك في الإعراض عن الدين بالكلية - رغم العلم به - مع قسوة القلب عن كل موعظة.

* وفهمُ الدين على أنه مجرد تصديق قلبي بوجود الله تعالى، وإقرار برسالة النبي ﷺ، وأن مستقر الدين هو القلب، فلا يتعلق بالأعمال الظاهرة: سبب في اجتياح ظاهرة التفلّت من الدين، وعدم الالتزام به في سواد الشعوب المسلمة، والتناقض المروع بين إقامة بعض الشعائر الدينية وأكل أموال الناس بالباطل، أو الوقوع في الفواحش ومقدماتها، أو اعتقاد المفاهيم العالمية المعاصرة التي تناقض الإسلام من كل وجه، ولا يمكن الجمع بينها وبينه بحال.

* ثم جاءت طامة القول في فهم الدين من لا دينين، ارتكزوا على كلام الحلولية والاتحادية في المحبة، فتج لديهم أن الدين هو الحب، وأن الإله هو المحبة، زندقة في زندقة! وقالوا بوحدة الأديان التي تهدم كل دين، وتبني لدى أصحابها دين الهوى - لا طهارة فيه، ولا صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا ستر، ولا كف عن المال الحرام، بل فيه العبودية لغير الله، وفجور وخلاعة وتبرج وانحلال، وأكل أموال الناس بالباطل - ثم يزعمون أن إسلامهم هو المحبة! وأنهم فهموا الإسلام الذي لم يفهمه المسلمون!

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وللإفاضة في ذلك كله ميدانٌ فسيح لا يتسع له هذا المقام.

فإلى التحلية بعد تلك التخلية، باستنشاق نسيم الأنس مما أورده الحافظ ابن رجب رحمه الله من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وآثار السلف الصالحين وحكايات الأولياء العارفين من نفحات رياض القدس فحيهلاً.

قد ذكر هذا الكتاب للحافظ ابن رجب: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ١٢٤).

ونقل عنه السّفاريني في «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣/ ١٢٠٣ - ١٥٣٩ - ١٥٥١ - ١٥٨٤ - ١٦٠٢ - ١٦٠٣)، وفي «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (١/ ٤٢).

وقد اعتمدت في إخراجها على عدة نسخ مخطوطة:

١- النسخة الأولى: نسخة شستربتي، ورمزها (ش).

وهي الكتاب الثاني من المجموع (٣٢٩٢)، ويقع في (٦٤) لوحة (من ١٩/ ب إلى ٨١/ ب)، وهو بخط محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري، وتاريخ انتهاء نسخه: ١١ رجب سنة ٧٩٦، بعد وفاة المصنف بنحو سنة، وقد قوبل على نسخة قرئت على المصنف رحمه الله.

٢- النسخة الثانية: نسخة مكتبة برنستون، ورمزها (ب).

وهي الكتاب الرابع من المجموع (٤١٦١/ أ يهودا)، ويقع في (٣٧) لوحة (من ٧٨/ ب إلى ١١٥/ أ) مسطرتها: ٢١ سطرًا.

لم يذكر اسم الناسخ، وتاريخ الفراغ من النسخ: ليلة ١٥ من ذي الحجة ٨١٧. والأسقاط فيها كثيرة جدًا.

٣- النسخة الثالثة: النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي الكتاب الثاني عشر ضمن المجموع (١٥٧) - وقد سبق وصفه في المقدمات -، ويقع في (٢٦) لوحة (من ٧٧/ أ إلى ١٠٢/ أ)، وهي مخرومة الآخر.

فلم يذكر اسم الناسخ، لكن تاريخ نسخ المجموع يرجع إلى سنة ٨٥٢.

٤- النسخة الرابعة: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الكتاب الرابع عشر ضمن المجموع (٥٣١٨) - وقد سبق وصفه في المقدمات - ويبدو أن أحداً قد انتزع هذا الكتاب من المجموع قبل ترقيمه، فلم يبق منه إلا ورقة واحدة في آخره (١٩٨ / ب).

وناسخ المجموع: هو عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، وتاريخ نسخته سنة ٨٩٣.

٥- النسخة الخامسة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (س).

وهي الكتاب الأول من المجموع (١٦٣٧)، ويقع في ٥٢ صفحة. بخط: عبد الله بن إبراهيم الربيعة، وتاريخ الفراغ من نسخته: ٢ من ذي الحجة ١٣٣٣.

٦- النسخة السادسة: نسخة مكتبة البسام، ورمزها (م).

وعليها تملك لعلي بن عبد الله بن عبد الرحمن البسام الحنبلي، وهي في (١٠) أوراق، مخرومة الآخر.

٧- النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة.

وهي الكتاب قبل الأخير من المجموع (٥٢٧ / ١٦)، ويقع في (١٨) لوحة (من ١٥٢ / ب إلى ١٦٩ / أ) وهو مخروم الآخر.

ليس فيها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وهي من وقف محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، لكنها متأخرة في أوائل القرن الماضي أو أواخر الذي قبله، فلم نرجع إليها.

٨- النسخة الثامنة: نسخة مكتبة جامعة الرياض.

وهي الكتاب السابع من المجموع (١٨١٧)، ويقع في (٣٧) لوحة (من ٤٤/ب إلى ٨٠/أ) وهو بخط عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن بن عبيد في غرة ربيع الثاني سنة ١٣٦١، ولم نرجع إليها لتأخرها، وعلى حواشيها إلحاقات، وتراجم مختصرة لبعض من ذكر في الكتاب من الأعلام. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَفْوِكَ اللَّهُمَّ^(١)

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحَدُ شيخ الإسلام والسُّنَّةِ، قَامِعُ
الْبِدْعَةِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعُمْدَةُ الْخَلْفِ، أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
الْشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقُدْوَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَجَزَاهُ عَنِ الْأَمَّةِ خَيْرًا^(٢).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ عَلَى قُلُوبِ أَحِبَّائِهِ مِنْ فَيْحِ مُحِبَّتِهِ، فَعَبِقَ فِيهِمْ نَشْرُهُ
وَفَاحَ. وَشَرَحَ صُدُورَ أَوْلِيَائِهِ بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ، فَأَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورُهُ وَوَلَّاحَ. أَحْيَاهُمْ بَيْنَ
رَجَائِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَغَذَّاهُمْ بِوَلَائِهِ^(٣) وَمُحِبَّتِهِ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ السُّرُورِ
وَالْأَفْرَاحِ. فَسُبْحَانَ مَنْ ذَكَرَهُ قُوَّةُ الْقُلُوبِ، وَقُرَّةُ الْعْيُونِ، وَسُرُورُ النُّفُوسِ، وَرُوحُ

(١) فِي (ب): «كِتَابُ اسْتِنْشَاقِ نَسِيمِ الْأَنْسِ مِنْ نَفَحَاتِ رِيَاضِ الْقُدْسِ، تَأْلِيفُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ
الْعَلَامَةِ الْمُحَدِّثِ الْمُحَقِّقِ الْفَاضِلِ الزَّاهِدِ الْوَرَعِ، أَفْضَلِ الْمُتَأَخِّرِينَ أَبِي الْفَرَجِ زَيْنِ الدِّينِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الشَّيْخِ الْمُقَرِّي الْفَاضِلِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ
ضَرِيحَهُ. آمِينَ.

كِتَابُ النَّسِيمِ بِأَنْسِ شَوْقٍ لِرَوْضِ الْقُدْسِ مَعَ طَيْبِ الْمَذَاقِ
يَرْتَجِي لِفَحْوِ الْأَنْسِ مِنْ مَعَانٍ لِلْحَبِيبِ مَعَ اسْتِيقَاقِ.

وَفِي (س): «رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِزْ يَا كَرِيمُ» وَفِي (ب): «رَبِّ يَسِّرْ يَا كَرِيمُ»، وَفِي (م): «وَبِهِ نَسْتَعِينُ».

(٢) مِنْ قَوْلِهِ: «قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ...» إِلَى هُنَا مِنْ (س) وَ(م).

(٣) فِي (س) وَ(م): «بِوَلَايَتِهِ».

الحياة، وحياة الأرواح. وتبارك الذي من خشيته تتجافى عن المضاجع الجنوب، ويرجاء رحمته تنفّس عن نفوس الخائفين الكروب، وبروح محبته تطمئن القلوب وترتاح. ما طابت الدنيا إلا بذكره ومعرفته، ولا الآخرة إلا بقربه ورؤيته، فلو احتجب عن أهل الجنة لاستغاث أهل الجنة في الجنة كما يستغيث أهل النار في النار^(١)، وأعلنوا بالصياح. كل^(٢) قلوب تألّهت^(٣) سواه فهي فاسدة ليس لها صلاح. وكل صدور خلّت من هيّته وتقواه فهي ضيقة^(٤) ليس لها انشراح. وكل نفوس أعرّضت عن ذكره فهي مظلمة الأرجاء والنواح. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾^(٥)، أحمدّه، ونشر ذكره كلما نُشِرَ فاح. وأشكره، ومزيده يتجدّد على الشاكرين بالغدو والرواح.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستمدها سلاحاً على الأعداء، فنعمة الجنة ونعم السلاح. وأستعدها مفتاحاً لباب دار البقاء فما للجنة سواها مفتاح.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه مفصّحاً بتوحيده أي إفصاح. موضحاً لعبيده سبيل الهدى كل الإيضاح. فلم يزل ﷺ يُعرّف بالله حتى ظهر توحيده في جميع النواح. ويخوف بالله تعالى حتى لانت القلوب القاسية وصدحت كل

(١) هذا من كلام أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٠ / ٣٤).

(٢) في (س) و(م): «فكل».

(٣) في حاشية (ب) إشارة إلى نسخة: «تعلّت».

(٤) في (ب): «ضعيفة»، وأشار في الحاشية إلى ما يوافق سائر النسخ.

(٥) مقتبس من الآية الكريمة في سورة النور: (٣٥).

الصَّلاح. ويُذَكَّرُ بِآلاءِ الله تعالى حتَّى انشَرَحَتِ القلوبُ بِمَحَبَّتِهِ أَعْظَمَ انشراح^(١)،
صَلَّى الله عليه وعلى آله وصَحْبِهِ صَلَاةٌ تَكُونُ سَبِيًّا لِلْفَلَاحِ. فحْيٍ عَلَى الصَّلَاةِ^(٢)،
وحْيٍ عَلَى الْفَلَاحِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَوْجَدَهُمْ لِعِبَادَتِهِ الْجَامِعَةِ لَخَشْيَتِهِ، وَرَجَائِهِ
وَمَحَبَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) [الذاريات: ٥٦]،
وَأِنَّمَا يُعْبَدُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَلِذَلِكَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
فِيهِمَا لِلْاِسْتِدْلَالِ بِهِمَا عَلَى تَوْحِيدِهِ وَعَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْعِبَادَةَ إِنَّمَا تَنْبَنِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَصُولٍ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ
وَالْمَحَبَّةُ، وَكُلٌّ مِنْهَا فَرَضٌ لَا زِمٌ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ حَتْمٌ وَاجِبٌ، فَلِهَذَا كَانَ
السَّلَفُ يَذُمُّونَ مَنْ تَعَبَّدَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا وَأَهْمَلَ الْآخَرَيْنِ، فَإِنَّ بَدَعَ الْخَوَارِجَ وَمَنْ
أَشْبَهُهُمْ إِنَّمَا حَدَّثَتْهُ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي الْخَوْفِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَحَبَّةِ وَالرَّجَاءِ،
وَبَدَعَ الْمُرْجِيَّةِ نَشَأَتْ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالرَّجَاءِ وَحَدَهُ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْخَوْفِ، وَبَدَعَ
كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِبَاحَةِ وَالْحُلُولِ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى التَّعَبُّدِ نَشَأَتْ مِنْ إِفْرَادِ الْمَحَبَّةِ
وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

وَقَدْ كَثُرَ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ الْمُتَسَبِّينَ إِلَى السُّلُوكِ تَجْرِيدُ الْكَلَامِ فِي الْمَحَبَّةِ،

(١) فِي (ش): «الانشراح».

(٢) فِي (ش) وَ(ت): «الصَّلاح».

(٣) فِي (ب): «لِيَعْبُدُونِي»، وَهِيَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ.

وتوسيعُ القولِ فيها بما لا يُساوي على الحقيقةِ مُثقالَ حَبَّةٍ^(١)؛ إذ هو عارٍ عن الاستدلالِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وخالٍ من ذكرِ كلامٍ مَن سَلَفَ من سَلَفِ الأُمَّةِ وأعيانِ الأئمةِ، وإنَّما هو مُجرَّدُ دعاوي قد تُشْرِفُ بِأَصْحَابِهَا^(٢) على مَهاوي^(٣)، ورَبَّما اسْتَشْهَدُوا بِأَشْعَارِ عُشَّاقِ الصُّوَرِ، وفي ذلك ما فيه من عِظَمِ^(٤) الخطرِ، وقد يحْكُونَ حكاياتِ العُشَّاقِ، وَيُشِيرُونَ إِلَى التَّأْدِبِ بما سَلَكَوه مِنَ الآدَابِ والأَخلاقِ، وكلُّ هذا ضَرَرُهُ عَظِيمٌ، وَخَطَرُهُ جَسِيمٌ.

وقد يُكثِرُ ذَكَرَ المَحَبَّةِ وَيُعِيدُهَا وَيُبْدِيهَا مَن هو بَعِيدٌ عَنِ التَّلَبُّسِ بِمُقَدِّمَاتِهَا وَمَبَادِيهَا، وما أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ رَحِمَهُ اللهُ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ الْكَلَامُ فِي المَحَبَّةِ^(٥): اسْكُتُوا عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَا تَسْمَعْهَا النُّفُوسُ فَتَدَّعِيهَا^(٦)؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ مُمْتَلِئَةٌ مِنَ الْكِبَرِ وَالْفَخْرِ وَالْغُرُورِ، وَالْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ^(٧) يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ^(٨)، وَكَثِيرًا مَا تَقْتَرُنُ^(٩) دَعْوَى المَحَبَّةِ بِالشَّطْحِ وَالْإِدْلَالِ، وما يُنَافِي العُبُودِيَّةَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. وقد اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِي جَمْعِ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَلَامِ أَعْيَانِ

(١) في (ب): «بما لا يساوي في الحقيقة مثقال ذرة»، وفي حاشيتها: «حبة».

(٢) في (ش): «بأصحابها»، وفي حاشيتها: «في الأصل: بأصحابها».

(٣) كذا في النسخ: «دعاوي، مهاوي»، والأولى: دعاوٍ، مهاوٍ.

(٤) في (س) و(م): «عظيم».

(٥) زاد الناسخ في (س) و(م): «فقال».

(٦) نقله القشيري في «الرسالة» (٢/٤٩٢)، وذكره ابن تيمية في عدد من مؤلفاته.

(٧) في (ب): «لا».

(٨) مقتبس من حديث أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠) من حديث أسماء رضي الله عنها.

(٩) في (ش) و(ت): «تقرن».

سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْعَارِفِينَ الْأَثَمَةِ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَعَلَامَاتِهَا وَطُرُقِهَا وَلَوَازِمِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَسْتَقْصِي ذَلِكَ كُلَّهُ؛ فَإِنَّهُ
يَطُولُ جَدًّا، وَإِنَّمَا أَذْكَرُ مِنْهُ أَبْوَابًا أَعَدُّهَا عَدًّا، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بَابًا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ،
وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

البَابُ الْأَوَّلُ: فِي لُزُومِ مَحَبَّةِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ وَتَقْدِيمِهَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَالنَّفُوسِ.

البَابُ الثَّانِي: فِي بَيَانِ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَطَالِبِ وَأَهَمِّهَا سُؤَالَ اللَّهِ مَحَبَّتَهُ عَلَى أَكْمَلِ
الْوَجْهِ وَأَتَمِّهَا.

البَابُ الثَّلَاثُ: فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُسْتَجَلِبُ بِهَا مَحَبَّةَ رَبِّ الْأَرْبَابِ.

البَابُ الرَّابِعُ: فِي عِلَامَاتِ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ، مِنْ التَّزَامِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْجِهَادِ فِي
سَبِيلِهِ، وَاسْتِحْلَاءِ الْمِلَامَةِ فِي ذَلِكَ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

البَابُ الْخَامِسُ: فِي اسْتِلْذَازِ الْمُحِبِّينَ بِكَلَامِ مَحْبُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ غِذَاءُ قُلُوبِهِمْ، وَغَايَةُ
مَطْلُوبِهِمْ.

البَابُ السَّادِسُ: فِي أَنْسِ الْمُحِبِّينَ بِاللَّهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مَقْصُودٌ مِنَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ^(١) سِوَاهُ.

البَابُ السَّابِعُ: فِي سَهْرِ الْمُحِبِّينَ وَخُلُوتِهِمْ بِمُنَاجَاةِ مَوْلَاهُمْ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ.

البَابُ الثَّامِنُ: فِي شَوْقِ الْمُحِبِّينَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

البَابُ التَّاسِعُ: فِي رِضَا الْمُحِبِّينَ بِمُرِّ الْأَقْدَارِ، وَتَنْعِيمِهِمْ بِبِلَاءٍ مَنْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَيَخْتَارُ.

(١) فِي (س) وَ(م): «وَلَا الْآخِرَةَ».

البابُ العاشرُ: في ذكرِ خوفِ المُحبِّينَ العارفينَ وفَضْلِهِ على خوفِ سائرِ الخائفينَ.

البابُ الحادي عشرُ: في شَرَفِ أهلِ الحبِّ، وأنَّ لهم عندَ الله أعلى منازلِ القُربِ.

البابُ الثاني عشرُ: في بُدْ من كلامِ أهلِ المحبَّةِ وتحقيقِهم، تقوى به النفوسُ^(١) على سُلُوكِ طريقِهم. وسمَّيَّته:

استنشاق نَسِيمِ الأُنْسِ من نَفَحاتِ رِياضِ القُدُسِ

فإنَّ قلوبَ الأحبابِ تشتاقُ باستنشاقِ نَسِيمِ الاقترابِ، وقد خرَّجَ الطَّبْرَانِيُّ من حديثِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ، وهو ضعيفٌ، عن الأعمشِ، عن أبي سُفْيَانَ، عن جابرٍ مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْجَنَّةِ: طِيبِي لِأَهْلِكَ لِيَزْدَادُوا طِيباً، فَذَلِكَ الْبَرْدُ الَّذِي يَجِدُهُ النَّاسُ فِي السَّحَرِ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

وَيُرَوَّى بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ^(٣)، عَنْ مُجَالِدٍ^(٤)، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَزَيَّنِي،

(١) في (ش)، و(س)، و(م): «القلوب»، وأشار في حاشيتي (ش) و(س) إلى المثبت من (ب) و(ت).

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٧٥)، وقال: «لم يروه عن الأعمش إلا عمرو بن عبد الغفار تفرد به يوسف بن موسى أبو غسان»، وعن الطبراني: أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠)، وأخرجه من طريق آخر عن أبي غسان (١٩٩). وعمرو بن عبد الغفار الفقيمي: متروك. وجاء في النسخ: «عمر»، وكتب في (ب): «عمرو» ثم ضرب على الواو! والصواب إثباتها.

(٣) في (ب): «ضعيف».

(٤) تصحف في (ب) و(س) إلى: «مجاهد».

فَتَزَيَّنَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: طُوبَى لِمَنْ رَضِيَتْ عَنْهُ، فَأَطْبَقَهَا وَعَلَّقَهَا^(١) بالعرش، فلم يدخلها بعد ذلك إلا الله لا إله غيره، يدخلها كل سحر، فذلك برؤ السحر^(٢).

وخرجه الحاكم والبيهقي بإسناد جيد، عن مجاهد^(٣)، من قوله مختصراً^(٤).
وأنشد بعضهم:

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِي الْغَضَا وَتَصْدَعُ^(٥) قَلْبِي أَنْ يَهْبَ هُبُوبُهَا
قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ أَيْنَ^(٦) حَلَّ حَبِيبُهَا
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَلْبَ الْمُحِبِّ تَحْتَ فَحْمَةِ اللَّيْلِ جَمْرَةٌ كُلَّمَا هَبَّ عَلَيْهِ نَسِيمُ السَّحَرِ
التَّهَبَ، وَأَنْشَدُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

يُذَكِّرُنِي مَرُّ النَّسِيمِ عُهْدَكُمْ فَأَزْدَادُ شَوْقًا كُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ
أَرَانِي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَشْرَقَتْ بِقَلْبِي مِنْ نَارِ الْغَرَامِ مَصَايِحُ

(١) في (ب): «وغلقتها».

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥٣/١٣) من طريق محمد بن مخلد في «فوائده» (٣٤). ولا يصح إسناده، ومعناه تفسره الرواية في التعليق الآتي.

(٣) في حاشية (ش): «ينظر». وهو صواب.

(٤) أخرج البيهقي في «البعث والنشور» (٧٧٩) عن الحاكم من حديث مجاهد موقوفاً عليه: «إن الله تبارك وتعالى غرس جنات عدن بيده، فلما تكاملت أغلقت، فهي تفتح كل سحر، فينظر الله تبارك وتعالى إليها فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾».

(٥) في (س) و(م): «ويصدع». وهو كذلك في المصادر.

(٦) في حاشية (ش): «أصل: حيث»، وكذلك في (ت) و(س)، والمثبت من (ب) و(ش) و(م).

والبيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، كما في «ديوانه» (ص: ١٣٩)، و«ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (١/٢٧٤).

أُصَلِّي بِذِكْرِكُمْ إِذَا كُنْتُ خَالِيَا أَلَا إِنَّ تَذْكَارَ الْأَحَبَّةِ تَسْبِيحُ
يَشِخُّ فُؤَادِي أَنْ يُخَامِرَ سِرَّهُ سِوَاكُمْ وَبَعْضُ الشُّحِّ فِي الْمَرْءِ مَمْدُوحُ
وَأِنْ لَاحَ بَرْقُ بِالْغُويرِ تَقَطَّعَ الْـ فُؤَادُ عَلِيٍّ وَإِذْ بِهِ الْبَانُ وَالشَّيْخُ^(١)
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ^(٢).

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٥٠٢) إلا البيت الأخير. وقد ذكره المصنف في «شرح حديث عمار بن ياسر».

(٢) في حاشية (ب): «بلغ مقابلة».

الباب الأول

في لزوم محبة الملك القدوس

وتقديمها على حب الأموال والأولاد والنفس

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال أبو عبد الله محمد بن خفيف الصوفي: سألتنا أبو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا: محبة الله فرض أو غير فرض؟ قلنا: فرض، قال: ما الدلالة على فرضها؟ فما منا من أتى بشيء يقبل، فرجعنا إليه وسألناه الدليل^(١) على فرض محبة الله عز وجل؟ فقال: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال: فتواعدهم الله تعالى على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله، والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم، وحتم واجب^(٢).

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٣).

(١) في (س) و(م): «ما الدليل».

(٢) القصة في «طبقات الشافعية» لابن الصلاح (١/ ١٥٥). وأبو العباس أحمد بن عمر بن سريج من كبار

أئمة الشافعية، المشهورين، توفي سنة (٣٠٦ هـ) رحمه الله تعالى. وتصحف في النسخ إلى «ابن شريح».

(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ» أيضًا، أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: «لَا يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، قَالَ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(١).

ومعلومٌ أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ إِنَّمَا هِيَ تَابِعَةٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ إِنَّمَا يُحِبُّ مُوَافَقَةَ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ وَلَأَمْرِ اللَّهِ بِمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ، فَإِذَا كَانَ لَا يَحْصُلُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِتَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَوْلَادِ وَالْآبَاءِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ فَمَا الظَّنُّ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟^(٢)!

وذكرَ ابنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَثْمَانَ الْأَخْنَسِيِّ^(٣)، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ»^(٤).

وقد جعلَ النَّبِيُّ ﷺ تَقْدِيمَ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى مَحَبَّةِ غَيْرِهِمَا مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ عِلَامَاتِ وُجُودِ حِلَاوَةِ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢). ولم يخرجهُ مسلم!

(٢) في (ش): «جَلَّ وَعَزَّ».

(٣) في (س) و(م): «ابن الأخنس».

(٤) في (س): و(م): «وأحبوا الله». أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥٢٥/٢) من حديث ابن

إسحاق. وهو في «السيرة» لابن هشام (٥٠١/١).

يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ^(١) فِي النَّارِ^(٢).

وفي رواية النسائي: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَأَنْ تَوْقَدَ نَارٌ فَيَقَعُ فِيهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(٣).

وفي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» عَنْ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ تُحَرِّقَ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ، وَأَنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِي نَسَبٍ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ لِلظَّمْآنِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ»^(٤).

وَيُرَوَّى^(٥) مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، وَلَقِيَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحَبَّهُمْ، وَمَنْ كَانَ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَهُ كَنَارٍ أُجِّجَتْ فَأُلْقِيَ فِيهَا؛ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ»، أَوْ قَالَ: «بَلَغَ ذِرْوَةَ الْإِيمَانِ»^(٦).

(١) في (س) و(م): «يلقى» وهو لفظ إحدى روايات البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، (٢١)، و(٦٠٤١)، و(٦٩٤١)، ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه النسائي (٤٩٨٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١٩٤) والقائظ: شديد الحر، وتصحفت هذه الكلمة في

النسخ كلها إلى: «القايض»!

(٥) في (س) و(م): «وروي».

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٠٦/٢٠).

ومن هذا المعنى أن الله تعالى قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۚ﴾ [المتحنة: ١٠] الآية، فأمر بامتحانهن ليُعلم إيمانهن، فكان النبي ﷺ يُحلفهن أنهن ما خرجن إلا حبا لله ورسوله، لم يخرجن رغبة في غير ذلك، فيكون ذلك علما بإيمانهن.

قال ابن عباس في هذه الآية: كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ لتُسَلِّمَ حلفها^(١) بالله ما خرجت من بغض زوج إلا حبا لله ورسوله، وهو موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي كذلك^(٢).

وخرجه البزار في «مُسْنَدِهِ»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، ولفظه: حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله^(٣).

وخرج إبراهيم بن الجنيدي الختلي في «كتاب المحبة» بإسناد ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا^(٤): «الإيمان في قلب الرجل أن يحب الله عز وجل»^(٥).

ومن مراسيل الزهري: أن النبي ﷺ قال: «رأس الإيمان المحبة لله عز وجل».

(١) في (ش) و(ت): «أحلفها».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٠٨)، وقال: حديث غريب.

(٣) في (ب): «ولرسوله» أخرجه البزار - «كشف الأستار» (٢٢٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٧٥/٢٢)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤٢٢/١٤).

(٤) في (س) و(م): «مرفوعا قال».

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله عز وجل» (٩).

وفي الله جلَّ وعزَّ، وطابعٌ^(١) الإيمان البرُّ والعدل، وتحقيقُ الإيمانِ إكرامٌ^(٢) ذي الدينِ وذي الشَّيبة^(٣).

فصل

ومحبَّةُ الله سبحانه على درجتين:

إحدهما: فرضٌ لازمٌ، وهي أن يُحبَّ الله سبحانه محبةً تُوجبُ له محبةً ما فرضه الله عليه^(٤)، وبُغضَ ما حرَّمه عليه، ومحبةً رسوله المُبلِّغ عنه أمره ونهيه، وتقديمَ محبَّته على النفوسِ والأهلينَ أيضًا كما سبقَ، والرِّضا بما بلَّغه عن الله من^(٥) الدينِ، وتلقِّي ذلك منه بالرِّضا والتَّسليمِ، ومحبةً الأنبياءِ والرُّسلِ والمُتَّبِعِينَ لهم بإحسانٍ جملةً وعمومًا لله عزَّ وجلَّ، وبُغضَ الكفارِ والفُجَّارِ جملةً وعمومًا لله عزَّ وجلَّ.

فهذا القَدْرُ لا بدَّ منه في تمامِ الإيمانِ الواجبِ، ومَن أخلَّ بشيءٍ منه فقد نقصَ من إيمانه الواجبِ بحسبِ ذلك، قالَ الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وكذلك ينقصُ من محبَّته الواجبة بحسبِ ما أخلَّ به من ذلك، فإنَّ المحبةَ الواجبةَ تقتضي فعلَ الواجباتِ وتركَ المُحرَّماتِ.

وخرَّجَ أبو نُعيمٍ من حديثِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه قالَ: سمعتُ

(١) في المطبوع من كتاب «المحبة»: «وسنام».

(٢) في (س) و(م): «بإكرام».

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله عز وجل» (١١).

(٤) في (ش) و(ت): «ما فرض عليه»، وفي (ب): «ما فرضه عليه».

(٥) في (ب): «في».

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ سَالِمًا - يَعْنِي مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ - شَدِيدُ الْحُبِّ لِلَّهِ، لَوْ كَانَ لَا يَخَافُ اللَّهَ مَا عَصَاهُ»، يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ ^(١) تَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَعْصِيَهُ ^(٢).

وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «غَرِيبِهِ» أَنَّ عَمَرَ قَالَ: نِعَمَ الْعَبْدُ صُهِيبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ ^(٣).

وَقَالَ الْحَسَنُ: ابْنُ آدَمَ! أَحَبَّ اللَّهُ يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُحِبَّ اللَّهَ حَتَّى تُحِبَّ طَاعَتَهُ ^(٤).

(١) فِي (ب): «مَحَبَّتُهُ لِلَّهِ».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١/١٧٧).

قَالَ السَّخَاوِيُّ فِي «الْأَجُوبَةِ الْمَرْضِيَّةِ فِيمَا سَأَلَ السَّخَاوِيُّ عَنْهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ» (٢٦): «وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ». وَفَسَّرَهُ ابْنُ النُّجَّارِ فِي «شَرْحِ الْكُوكَبِ الْمُنِيرِ» (١/٢٧٨): بِأَنْ لَا تَنْتَفَاءَ الْمَعْصِيَةُ سَبَبِينَ: الْمَحَبَّةَ وَالْخَوْفَ، فَلَوْ انْتَفَى الْخَوْفُ لَمْ تَوْجَدْ الْمَعْصِيَةَ لَوْجُودِ الْآخَرِ، وَهُوَ الْمَحَبَّةُ.

(٣) ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (٦٥٤) دُونَ إِسْنَادٍ، وَقَالَ عَقَبَهُ: «الْمَعْنَى وَالْوَجْهُ فِيهِ: أَنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادَ أَنْ صَهْبِيًّا إِنَّمَا يَطِيعُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُبًّا لَهُ، لَا مَخَافَةَ عِقَابِهِ، يَقُولُ: فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِقَابُ يَخَافُهُ مَا عَصَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا».

وَهَذَا الْحَدِيثُ مِثَالٌ لِلْمَشْهُورِ عِنْدَ النُّحَاةِ بِ (لَوْ الصُّهْبِيَّةِ)، وَأُلْفَتْ فِي إِعْرَابِهِ رِسَائِلٌ، وَيَذْكُرُهُ الْأَصُولِيُّونَ وَأَصْحَابُ الْمَعَانِي وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَرَادُ فِيهِ تَقْرِيرُ الْجَوَابِ وَجُدَ الشَّرْطُ أَوْ فَقِدَ وَلَكِنَّهُ مَعَ فَقْدِهِ أَوَّلَى.

وَقَدْ أَعْيَا الْبَحْثُ عَنْ هَذَا الْأَثَرِ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ - وَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ - مِنَ الْمَعَاصِرِينَ لِلْمَصْنَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَهَذَا دَالٌّ عَلَى سَعَةِ إِطْلَاعِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَذَلِكَ ظَفَرَ بِهِ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَشْكَلِ الْحَدِيثِ» لِابْنِ قَتِيْبَةٍ، دُونَ إِسْنَادٍ أَيْضًا، وَنَقَلَ قَوْلَهُ: «أَرَادَ أَنْ صَهْبِيًّا يَطِيعُ اللَّهَ حُبًّا لَا لِمَخَافَةِ عِقَابِهِ». نَقَلَهُ السَّخَاوِيُّ فِي «الْأَجُوبَةِ الْمَرْضِيَّةِ» (٢٦).

(٤) أَخْرَجَ الْخَتَلِي فِي «الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ» (٥٧) عَنِ الْحَسَنِ: «مَنْ قَالَ: إِنِّي أَحَبُّ اللَّهَ تَعَالَى فَهُوَ كَاذِبٌ، لَوْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى لَعَمِلَ بِعَمَلِ يَحِبُّهُ اللَّهَ».

وَقَدْ أَوْرَدَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اللفظَ الَّذِي ذَكَرَهُ هُنَا فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ» (١/٢١٢)، =

وقال عبد الله بن خبيق: قال رجل لرابعة: إني أحبك في الله، قالت: فلا تعصي الذي أحببتني له^(١).

وسئل ذو النون: متى أحب ربّي؟ قال: إذا كان ما يُبغضه عندك أمر من الصبر^(٢).

وقال بشر بن السري: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يُبغضه حبيبك^(٣).

وقال أبو يعقوب النهرجوري: كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور^(٤).

= وفي «الكلام على كلمة الإخلاص» دون قوله: «ابن آدم».

ووقع في المطبوعات: «قال الحسن بن آدم: ...» وهو غلط في قراءة النص. (ابن آدم) منادى، وليس هو والد الحسن!

(١) عبد الله بن خبيق الأنطاكي الزاهد، صاحب يوسف بن أسباط، المتوفى (٢٦٠هـ) رحمه الله. وتصحف في (س) و(م) والمطبوعات، وما نُقل عنها إلى «عبد الله بن حنيف»! وهو على الصواب في (ش) و(ب) و(ت).

والقصة ذكرها ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٢/٢٨٦) دون عزو إلى ابن خبيق. وروى الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٧٩) نحوها عن السري السقطي قال: قالت امرأة لرابعة: إني أحبك في الله. وذكر ذلك أبو حيان التوحيدي في «الصدّاقة والصدّيق» (ص: ٢٥٧). والله تعالى أعلم.

وقوله: «تعصي»: هكذا في جميع النسخ، وهي مسألة معروفة في النحو في مبحث (جزم المضارع بحذف حرف العلة)، وفسرها بعضهم بإشباع حركة الحرف الذي قبله، وقيل غير ذلك.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/٣٦٣ و٣٩٢). والصبر: عصارة نبات مرّ.

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/٣٠٠)، (١٠/٧).

(٤) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/٢١٣)، و(٢/٣٩٧)، وفي «الكلام على كلمة

الإخلاص».

وقال يحيى بن مُعَاذٍ: ليسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعىَ محبةَ الله عزَّ وجلَّ ولم يحفظْ حدودَه^(١).

وقال رُوَيْمٌ: المحبةُ المُوافقةُ في جميعِ الأحوالِ، وأنشدَ:
ولو قُلْتُ لي: مُتْ مُتْ سَمْعًا وطاعةً وقُلْتُ لداعي الموتِ أهلاً ومرحباً^(٢)
وقد تقدَّم أنَّ العبدَ لا يجدُ^(٣) حلاوةَ الإيمانِ حتَّى يُحبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلَّا الله،
وحَتَّى يكرهَ أن يرجعَ إلى الكُفْرِ كما يكرهُ أن يُلْقَى في النارِ، ولهذا المعنى كانَ الحبُّ
في الله والبُغْضُ في الله من أصولِ الإيمانِ.

وخرَّجَ الترمذِيُّ من حديثِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ
أعطىَ الله، ومنعَ الله، وأحبَّ الله، وأبغضَ الله، فقد استكملَ إيمانه»^(٤).
وخرَّجَه الإمامُ أحمدُ وزادَ فيه: «وأنكحَ الله»^(٥).

وفي لفظٍ له أيضًا: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُحِبَّ الله،
وَتُبْغِضَ الله، وتُعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ الله»^(٦).

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٦٧)، وأورده القشيري في «الرسالة القشيرية» (٢/٤٨٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٣٠١)، وأورده السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٠)،
والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/٤٢٩).

(٣) في (ش) و(ت): «ما يجد».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٢١) من تكملة طبعة شاكر، وقال: «هذا حديث حسن». لكن في مخطوطة
الكروخي: «هذا حديث منكر».

(٥) مسند الإمام أحمد (١٥٦٣٨) واللفظة المذكورة: «وأنكحَ الله» ليست مما رواه الترمذي كما يشير
تصرف الحافظ ابن رجب، وإن كانت موجودة في مطبوعاته، وهي ليست في رواية الكروخي
المخطوطة بباريس. ورواه أحمد (١٥٦١٧) من وجه آخر، وفيه هذه اللفظة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١٣٠) في مسند معاذ بن جبل، وفيه علة فهو حديث معاذ بن أنس السابق.

وخرَجَ أبو داودَ من حديثِ أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(١).

وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(٢).

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ من حديثِ البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(٣).

وَمِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ وَيُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْوِلَايَةَ مِنَ اللَّهِ، إِنَّ أَوْلِيَاءِي مِنْ عِبَادِي وَأَحِبَّائِي مِنَ خَلْقِي الَّذِينَ يُذَكِّرُونَ بِذِكْرِي وَأُذَكِّرُ بِذِكْرِهِمْ»^(٤).

وفي هذا المعنى أحاديثُ كثيرةٌ.

وَرَوَى لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ^(٥) فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ، لَنْ يَجِدَ

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٥٢).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٥٨٩)، ولفظه: «أفضل الأعمال».

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٨٥٢٤)، وهو جزء من حديث.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٥٤٩) وفي مطبوعة «المسند»: «أحبائي» بدلاً من «أحبائي». وتصحفت «يحق العبد» إلى «يجد العبد» في المطبوعة.

(٥) رسمت في النسخ: «ووالي».

عَبْدُ طَعَمِ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ
عَامَّةُ مُوَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا. خَرَّجَهُ ابْنُ
جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ^(١).

وخرَّجَ أيضًا بإسناده عن ابن مسعودٍ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ،
وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ تَوَسَّطَ الْإِيمَانَ^(٢).

(١) لم أجده في مظهره من «تفسير الطبري» في تفسير الآية (٦٧) من سورة الزخرف، والآية (٢٢) من
سورة المجادلة.

والأثر مداره على ليث بن أبي سليم. أخرجه ابن أبي عمر العدني في «الإيمان» (ص ١٢٨) وهو
أقرب الألفاظ. ورواه من وجوه أخرى عن ليث - وبعضهم ذكر الآيتين -:
ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف»
(٣٥٩١٥)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٢٢). واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»
(١٦٩١).

* تنبيه:

أخرجه ابن المبارك عن سفيان عن ليث من كلام ابن عباس. وكذلك أخرجه البيهقي من طريق
علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم (الفضل بن دكين) عن سفيان من كلام ابن عباس.
خالفه الطبراني فرواه في «الكبير» (١٣٥٣٧) عن علي بن عبد العزيز بسنده لكن من كلام ابن عمر!
ورواه عن الطبراني كذلك: أبو نعيم الأصبهاني في «الحلية» (٣١٢/١)، وذكر معه حديثين آخرين
لابن عمر.

وذكر أبو نعيم أسانيده من ثلاثة وجوه أخر عن ليث وعطف عليها ما روى لفظه من طريق سفيان،
من كلام ابن عمر وعَلَّقَ أربعة وجوه عقبه عن ليث. ثم قال: «ورواه الأعمش عن مجاهد عن ابن
عمر نحوه»! والله تعالى أعلم بالصواب.

ورواية الأعمش تشير إلى أن صوابه عن ابن عمر. والله أعلم.

(٢) لم أجد هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والمعروف في هذا أثر يرويه عبد الله بن ضميرة عن كعب الأبحار قال: «من أقام الصلاة وآتى =

وخرَجَ الحاكمُ من حديثِ عائشةَ رضيَ الله عنها، عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «الشُّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»^(١) على الصِّفا في اللَّيلةِ الظُّلُماءِ، وأذناه أن تُحِبَّ^(٢) على شيءٍ مِنَ الجَوْرِ وتُبْغِضَ^(٣) على شيءٍ مِنَ العَدْلِ، وهل الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ والبُغْضُ^(٤)؟ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقالَ: صحيحُ الإسنادِ، وفيما قالَه نظرٌ^(٥).

ففي هذا الحديثِ أنَّ محبَّةَ ما يكرهه^(٦) اللهُ وبُغْضَ ما يُحِبُّه اللهُ مِنَ الشُّرْكِ الخفيِّ. ورؤينا من طريقِ الأصمعيِّ، عن سُفيانَ، عن ليثٍ، عن مُجاهِدٍ أنَّه قالَ في قولِهِ تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] قالَ: لَا يُحِبُّونَ غَيْرِي^(٧).

= الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الإيمان، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل

الإيمان»، أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٤٨٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٣١/٦)، وغيرهما.

(١) في حاشية (س) وفي (م): «الذر»، وهو المثبت في مطبوعة «المستدرک» الهندية.

(٢) في (ش) و(ت): «يُحِبُّ».

(٣) في (ش) و(ت): «يُبْغِضُ».

(٤) في (س) و(م): «في الله والبغض في الله».

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٩١/٢). وفي سنده: عبد الأعلى بن أعين. قال الدارقطني في

«العلل» (٣٥٣٩): «وعبد الأعلى بن أعين ضعيف الحديث، والحديث غير ثابت». وقال العقيلي

في «الضعفاء الكبير» (٦٠/٣): «ولا يتابع عليه، ولا يُعرف إلا به، وعبد الأعلى بن أعين هذا حدَّث

عن يحيى بن أبي كثير بغير حديث منكر لا أصل له».

(٦) في (س) و(م): «يُبْغِضُهُ».

(٧) لم أجده من طريق الأصمعي. وإنما وجدته من طريق الأشجعي عن سفيان. أخرجه الختلي في

«المحبة لله عز وجل» (٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٩٦/٣). ولفظه كالمثبت من (س)

و(م) و(ب). وأخرجه الطبري (٣٥٠/١٧) من وجه آخر عن سفيان ولفظه: «لا يخافون غيري».

ووقع في (ش) و(ت): «لا تشركوا بي شيئاً» قال: لا تحبوا غيري.

وحيثُ لا يكْمُلُ التَّوْحِيدُ الْوَاجِبُ إِلَّا بِمَحَبَّةٍ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَبُغْضٍ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وكذلك لا يَتِمُّ الْإِيمَانُ الْوَاجِبُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ الْإِخْلَالَ بِبَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، وَارْتِكَابَ بَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ يَنْقُصُ بِهِ الْإِيمَانُ الْوَاجِبُ بِحَسَبِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» الْحَدِيثُ (١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أَبِي بِنٍ كَعْبٍ، قَالَ: مَنْ أَصْبَحَ وَأَكْبَرَ هَمَّهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ (٢).

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ (٣).

فَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ فَرَضٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَهِيَ دَرَجَةُ الْمُقْتَصِدِينَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: دَرَجَةُ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَهِيَ أَنْ تَرْتَقِيَ الْمَحَبَّةُ (٤) إِلَى مَحَبَّةٍ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ، وَإِلَى الرِّضَا بِمَا يَقْدَرُهُ وَيَقْضِيهِ مِمَّا يُؤْلِمُ النَّفْسَ مِنَ الْمُصِيبَاتِ (٥)، وَهَذَا فَضْلٌ مُسْتَحَبٌّ مَدْنُوبٌ إِلَيْهِ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٧٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٦٧٨٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (١٧٨).

(٣) عِنْدَ الْخُتْلِيِّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (٣٨)، وَأَبِي نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٤٨/٣).

(٤) فِي (ب) وَ(م): «يَرْتَقِي الْمَحَبَّ».

(٥) فِي (س) وَ(م): «الْمَصَائِبِ».

إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي ^(١) لِأُعِذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» ^(٢).

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(٣)، وَابْنِ عَبَّاسٍ ^(٤)، وَأَبِي أُمَامَةَ ^(٥)، وَعَائِشَةَ ^(٦)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِأَسَانِيدَ فِيهَا نَظَرٌ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ سُهَيْلِ أَخِي حَزْمٍ قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحَبُّتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُبًّا سَهَّلَ عَلَيَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ، وَرَضَّانِي بِكُلِّ قَضِيَّةٍ، فَمَا أَبَالِي مَعَ حُبِّي إِيَّاهُ مَا أَصْبَحْتُ عَلَيْهِ وَمَا أَمْسَيْتُ ^(٧).

قَالَ ^(٨) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَابِدٍ: أَوْصِنِي، أَوْ عِظْنِي، فَقَالَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَغْلَبُ عَلَى قَلْبِكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْمُحِبِّ عِنْدَ حَبِيبِهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي مُحَبَّتِهِ، وَهَلْ

(١) فِي (ش) وَ(ت): «اسْتَعَاذَنِي».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٠٢). وَفِي (س): «عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ». وَاللَّفْظَةُ الزَّائِدَةُ لِلشَّرْحِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْحَدِيثِ.

(٣) خَرَّجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي «مُسْنَدِ عَلِيٍّ»، كَمَا ذَكَرَ الْمَصْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ» (٣٣٢/٢).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٢٧١٩).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٧٨٨٠).

(٦) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٦١٩٣)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٩٣٥٢).

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْأَوْلِيَاءِ» (٧١).

(٨) فِي (س) وَ(م): «وَقَالَ».

تَدْرِي مَا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يَعْلَمَ شَيْئًا فِيهِ رِضَاهُ إِلَّا أَتَاهُ، وَلَا يَعْلَمَ شَيْئًا فِيهِ سَخَطُهُ إِلَّا اجْتَنَبَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ الْمُحِبُّونَ^(١) مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنَازِلَ الْمَحَبَّةِ، قَالَ: فَصَرَخَ^(٢) الْعَابِدُ وَالسَّائِلُ وَسَقَطَا^(٣).

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ مُحَبَّةَ اللَّهِ إِذَا صَدَقَتْ أَوْجَبَتْ مُحَبَّةَ طَاعَتِهِ وَامْتِنَالِهَا، وَبُغْضَ مَعْصِيَتِهِ وَاجْتِنَابَهَا، وَقَدْ يَقَعُ الْمُحِبُّ أحيانًا فِي تَفْرِيطٍ فِي بَعْضِ الْمَأْمُورَاتِ، وَارْتِكَابِ بَعْضِ^(٤) الْمَحْظُورَاتِ، ثُمَّ يَرْجِعُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَلَامَةِ، وَيَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَدَارَكُهُ بِالتَّوْبَةِ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُؤْتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَقَالَ رَجُلٌ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَلْعَنَهُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٥).

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قَالَ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبُهُ^(٦).

(١) فِي (ش): «الْمُحِبُّونَ»، وَفِي (ت) مَعَ الضَّبْطِ: «يُنْزَلُ الْمُحِبُّونَ».

(٢) فِي (ب) وَ(م): «وُخْرِجَ» تَصْغِيرًا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْخُتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٥٠).

(٤) فِي (س): «الْبَعْضُ». وَفِي (م): «بَعْضُ مُحَرَّمَاتِ الْمَحْظُورَاتِ».

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦٧٨٠) وَلَفْظُهُ: «لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ: أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٧٥٦)، وَعَنْهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوْبَةِ» (١٨٣).

وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣١٨/٤) مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الشَّعْبِيِّ.

وَرُوِيَ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ بِأَسَانِيدٍ فِيهَا كَلَامٌ.

وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ طَرَفَهُ الْآخَرَ فِي «الْكَلَامِ عَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ».

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: إن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه إذا أحبه أن يقول^(١): اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك^(٢).

والمُرَاد من هذا أن الله تعالى إذا أحب عبداً و^(٣)قدَّر عليه بعض الذنوب فإنه يُقدِّر له الخلاص منها بما يمحوها، من توبة أو عمل صالح، أو مصائب مكفرة، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أذنب عبد ذنباً فقال: رب إني^(٤) عملت ذنباً فاغفر^(٥) لي»، فذكر الحديث إلى أن قال: «فليعمل ما شاء»^(٦).

والمُرَاد ما دام على هذا كلما عمل ذنباً اعترف به، وندم عليه، واستغفر منه، فأما مع الإصرار عليه فلا، وكذلك المحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب، وعدم الاستحياء من علام الغيوب، وما أحسن قول بعضهم:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ هَذَا لَعْمَرِي فِي الْقِيَاسِ شَنِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ^(٧)

(١) في (س) و(م): «يقول له».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٤١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ١٧٠).

(٣) في (ب): «أو» سبق قلم.

(٤) في (س) و(م): «أي رب».

(٥) في (ش) و(ت): «فاغفره».

(٦) ذكره المصنف مختصراً، والحديث بتمامه في البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) هذان البيتان مما يكثر جداً التمثل بهما. ونسبنا إلى كثير من القائلين، فنسبنا لذي الرمة، ولأبي العتاهية، ولابن المبارك، وللشافعي، وللمحمود الوراق، وتمثل بهما كثير من الأكابر. والشرط الثاني من البيت الأول ذكر بالفاظ متعددة.

الباب الثاني

في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها

سؤال الله تعالى محبته على أكمل الوجوه وأنتمها

رَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَعْنِي فِي الْمَنَامِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ^(١) يُقَرِّبُ^(٢) إِلَى حُبِّكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ^(٣) تَعَلَّمُوهَا»^(٤)، خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَخَرَّجَهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «وَحُبَّ عَمَلٍ يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ»^(٥).

وَخَرَّجَ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ ثُوبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ^(٦).

وَخَرَّجَ الْبَزَّازُ بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ، وَفِي

(١) فِي (س): «كُلْ عَمَلٍ». وَلَيْسَ الزِّيَادَةُ مِنَ الْحَدِيثِ.

(٢) الْمُبْتَدَأُ مِنْ (ش) وَ(ت) وَ(م) مُوَافَقًا لِلتِّرْمِذِيِّ، وَفِي (ب) وَ(س): «يُقَرِّبُنِي» مُوَافَقًا لِلْمُسْنَدِ.

(٣) الْمُبْتَدَأُ مِنْ (ش) وَ(ب) مُوَافَقًا لِلتِّرْمِذِيِّ، وَفِي (س) وَ(م): «وَتَعَلَّمُوهَا» مُوَافَقًا لِلْمُسْنَدِ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢١٠٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٣٥)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/٥٢١). وَقَدْ أَفْرَدَهُ

الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْشَّرْحِ فِي «اخْتِيَارِ الْأَوَّلَى فِي شَرْحِ حَدِيثِ اخْتِصَامِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى».

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الدَّعَاءِ» (١٤١٧) مِنْ حَدِيثِ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ (٤١٧٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الدَّعَاءِ» (١٤١٧)، وَالْحَاكِمُ (١/٥٢٧) وَقَالَ: «صَحِيحٌ

عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ».

حديثه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ حَبِّكَ»^(١)، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ^(٢) إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّ لَن يُصَيِّبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضَّيْنِي بِمَا قَسَمْتَ لِي»^(٣).

وخرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي، وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ»، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ وَتَحَدَّثَ^(٤) عَنْهُ قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ أَعْبَدَ الْبَشَرِ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ^(٥).

وخرَجَ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطَمِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحَبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ»، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ^(٦).

وخرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَغَيْرُهُ، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ

(١) المثبت من (ش) و(ب) و(ت)، وفي (س) و(م): «من يحبك»، وفي مطبوعة «مسند البزار» أشار

محققه إلى طمس في الأصل، واختصر الحديث في «كشف الأستار» (١٤/٣).

(٢) في (س) و(م): «إني أسألك».

(٣) «مسند البزار» (٥٣٨٥).

(٤) في (ش): «أو تحدث»، ولا يوجد حرف العطف في الترمذي.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٩٠)، والحاكم (٤٣٣/٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقب

الذهبي على الحاكم فيه نظر، والله أعلم.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٤٩١).

مالك الطائي، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، واجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخَوْفَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي، واقْطَعْ عَنِّي حَاجَاتِ الدُّنْيَا بِالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ، وَإِذَا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُمْ^(١) فَأَقْرِزْ عَيْنِي مِنْ عِبَادَتِكَ»، وهذا مُرْسَلٌ^(٢).

وخرَجَ ابنُ أبي الدنيا أيضًا، من رواية أبي بُرْدَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عَمَرَ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ سَجَدَ^(٣) يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، وَخَوْفَكَ أَخَوْفَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي^(٤).

وخرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَلَفْظُهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ وَأَخْشَى عِنْدِي^(٥). وَصَحَّ مِنْ رِوَايَةِ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو عَلَى الصَّافَا وَالْمُرْوَةِ وَفِي مَنَاسِكَهِ فَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مَمَّنْ يُحِبُّكَ، وَيُحِبُّ مَلَائِكَتَكَ، وَيُحِبُّ رُسُلَكَ، وَيُحِبُّ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنِي إِلَيْكَ، وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ، وَإِلَى رُسُلِكَ، وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، فِي دُعَاءٍ لَهُ كَثِيرٌ^(٦).

وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ فِي «كِتَابِ الْمَحَبَّةِ» لَهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ^(٧) أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ

(١) فِي (س) وَ(م)، وَنَسَخَةٌ فِي (ش): «بِدُنْيَاهُمْ».

(٢) أَخْرَجَهُ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ: أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢٨٢/٨)، وَأَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا: يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الْهَادِي فِي «النِّهَايَةِ فِي اتِّصَالِ الرِّوَايَةِ» (٤٤٩).

(٣) فِي (س) وَ(م): «يَسْجُد».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ أَيْضًا فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٥٨/٣١).

(٥) «حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٠٤/١).

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٠٨/١).

(٧) فِي (س): «إِلَى».

قال: كان داود عليه السلام يقول: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَحِبَّائِكَ^(١)؛ فَإِنَّكَ إِذَا أَحَبَّبتَ عَبْدًا غَفَرْتَ ذَنْبَهُ وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا، وَقَبَلْتَ عَمَلَهُ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا^(٢).

وبإسناده عن صالح بن مسمار قال: بلغنا أن الله عز وجل أرسل إلى سليمان بن داود عليهما السلام بعد موت أبيه داود ملكًا من الملائكة، فقال له الملك: إِنَّ رَبِّي جَلَّ وَعَزَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لَتَسْأَلَهُ حَاجَةً، قَالَ سُلَيْمَانُ: فَإِنِّي أَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ قَلْبِي يُحِبُّهُ كَمَا كَانَ قَلْبُ أَبِي دَاوُدَ يُحِبُّهُ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ قَلْبِي يَخْشَاهُ كَمَا كَانَ قَلْبُ أَبِي دَاوُدَ يَخْشَاهُ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَرْسَلْتُ إِلَيَّ عَبْدِي لِيَسْأَلَنِي حَاجَةً فَكَأَنْتَ حَاجَتُهُ إِلَيَّ أَنْ أَجْعَلَ قَلْبَهُ يُحِبُّنِي وَأَجْعَلَ قَلْبَهُ يَخْشَانِي، وَعَزَّتِي لأَكْرِمَنَّهُ، فَوَهَبَ لَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣٩ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا الزُّلْفَى وَحُسْنُ مَتَابٍ ﴿ [ص: ٣٩ - ٤٠] ^(٣).

وعن سلام بن مسكين قال: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ املأ قلوبنا إيمانًا بك، و يقينًا بك، ومَعُونَةً، ومَعْرِفَةً بك^(٤)، وتصديقًا لك، وحبًا لك، وشوقًا إلى لقائك^(٥).
وعن عبد الواحد بن زيد، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَرْكَانًا قَوِيَّةً عَلَى عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ جَوَارِحَ مُسَارِعَةٍ إِلَى طَاعَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ هِمَمًا مُتَعَلِّقَةً بِمَحَبَّتِكَ^(٦).

(١) في (ب) و(س) و(م): «أحبابك».

(٢) «المحبة» (٢٥٤). وهذا من الأخبار عن أهل الكتاب.

(٣) «المحبة» (٧٩). وهو من الأخبار عن أهل الكتاب، والله أعلم.

(٤) في (ش) و(ت): «ومعرفة بك، ومعرفة لك»، وفي (ب): «ومعونة بك ومعرفة لك»، وفي (س):

«ومعرفة بك ومعرفة». والمثبت كما في (م)، وهو الموافق للمصدر.

(٥) «المحبة» (٨٦).

(٦) «المحبة» (٨٧).

وعن مَرْثِدِ أَبِي عامِرٍ، عن الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ الله عنهما، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَحَبَّةً لَكَ تَقْطَعُ بِهَا عَنِّي مَحَبَّاتِ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا، وَارْزُقْنِي مَحَبَّةً لَكَ تَجْمَعُ لِي بِهَا خَيْرَ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحَبَّتَكَ آثَرَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي وَأَقْرَبَهَا لِعَيْنِي، وَاجْعَلْنِي أَحِبُّكَ حُبَّ الرَّاعِبِينَ فِي مَحَبَّتِكَ حُبًّا لَا يُخَالِطُهُ حُبٌّ هُوَ (١) أَعْلَى مِنْهُ فِي صَدْرِي، وَلَا أَكْثَرَ مِنْهُ فِي نَفْسِي، حَتَّى يَشْتَغَلَ قَلْبِي بِهِ عَنِ السُّرُورِ بغيرِهِ، حَتَّى يَكْمُلَ لِي بِهِ عِنْدَكَ الثَّوَابُ غَدًا فِي أَعْلَى مَنَازِلِ الْمُحِبِّينَ لَكَ يَا كَرِيمٌ.

قَالَ: وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَكَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي آخِرِ كَلَامِهِ وَيَبْكِي (٢).
وعن عُقْبَةَ بْنِ فَضَالَةَ، قَالَ: كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْخَوَّاصُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ بَعْدَ مَا كَبَّرَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبًّا لَكَ، وَحُبًّا لِمُطِيعِكَ (٣)، وَحُبًّا لِأَوْلِيَائِكَ، وَحُبًّا لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَخُدَّامِكَ (٤)، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبًّا تَرْفَعُنِي بِهِ عِنْدَكَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعُلَى، فِي مَنَازِلِ الْمُحِبِّينَ لَكَ، قَالَ: وَكَانَ يَبْكِي حَتَّى يَكَادَ يَهْمُدُ، وَكَانَ قَدْ كَبَّرَ جَدًّا (٥).

وعن أَبِي صَخْرٍ، عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَرْسَلَ يَوْمًا إِلَيْهِ وَعُمَرُ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، آيَةُ أَسْهَرَتْ نِيَّ الْبَارِحَةَ (٦)، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمَا هِيَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَوْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ لَفَسَدُوا﴾ [المائدة: ٥٤]، قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنَّمَا

(١) كتب ناسخ (س) وناسخ (م): «هوى»!

(٢) رضي الله عنه. «المحبة» (٨٤).

(٣) في (ب) و(س): «لمطيعك».

(٤) في (س): «وخدمتك».

(٥) رحمه الله تعالى. «المحبة» (٨٥).

(٦) في (س) و(م): «لأنه أسهرتني البارحة آية».

عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الْوَلَاةَ مِنْ قُرَيْشٍ، ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾^(١) عَنْ الْحَقِّ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وَهُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَالَ عُمَرُ: يَا لَيْتَنِي وَإِيَّاكَ مِنْهُمْ، قَالَ: آمِينَ^(٢).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ صَدَقَةَ أَبِي مُهَلِّهِلٍ قَالَ: أَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ: أَتُحِبُّ اللَّهَ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنِّي لِأُحِبُّهُ، وَأُحِبُّ طَاعَتَهُ، قَالَ: أَفَلَا تُنَادِيهِ نِدَاءَ أَوْلِيَائِهِ؟ قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: قُلْ: نَبْهَنِي إِلَهِي لِلْخَطَرِ الْعَظِيمِ مِنْ مُحِبَّتِكَ يَا بَارِي النَّسَمِ^(٣).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ: ثَنَا أَبُو قُرَّةَ، ثَنَا حُمَيْدُ بْنُ قَائِدٍ، قَالَ: كَانَ بَعْضُ التَّابِعِينَ يَقُولُ: إِلَهِي أَعْطَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَكَيْفَ تَحْرِمُنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ؟ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُسَكِّنَ عَظَمَتَكَ قَلْبِي^(٤)، وَأَنْ تَسْقِيَنِي شَرْبَةً مِنْ كَأْسِ حُبِّكَ^(٥).

قَالَ أَحْمَدُ: وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ مَرْيَمَ أُمِّ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اللَّهُمَّ اْمْلَأْ قَلْبِي بِكَ فَرَحًا، وَغَشَّ وَجْهِي مِنْكَ الْحَيَاءَ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ التَّابِعِينَ: اللَّهُمَّ أَمِثْ قَلْبِي بِخَوْفِكَ وَخَشْيَتِكَ وَأَحْيِهِ بِحُبِّكَ وَذِكْرِكَ^(٥).

(١) «المحبة» لابن الجنيدي الختلي (٢٢٩). وفي (ت): «وهم أهل اليمن» تصحيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنايات» (١٧٠) ويستدرك من هنا الخرم الواقع في مطبوعته.

(٣) في (ب) و(ت) و(س) و(م): «في قلبي».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٨٦/١٠).

وقوله: «ثنا حميد بن قائد» لا توجد في «الحلية»، وإنما القول لأبي قرة. ولم أظفر بحميد بن قائد.

(٥) في حاشية (ت) و(س): «بلغ». والأثران أخرجهما ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢١/٧٠)،

وأخرج الثاني أبو نعيم في «الحلية» (١٨٦/١٠).

الباب الثالث

في بيان الأسباب التي يُستَجَلَبُ^(١) بها محبة ربِّ الأرباب

فمن ذلك معرفة نِعَمِهِ على عبادِهِ، وقد جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها، وهذا الكلامُ مَرْوِيٌّ عن ابنِ مسعودٍ، وَرَوِيَّ عنه مرفوعاً، ولا يصحُّ^(٢).

قال بعضهم: إذا كانتِ القلوبُ جُبِلَتِ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها فواعجباً لِمَنْ لا يرى مُحْسِنًا غيرَ الله، كيف لا يميلُ بِكُلِّيَّتِهِ إليه؟!^(٣)

(١) في (س) و(م): «تُستَجَلَبُ».

(٢) قال مُهَنَّأٌ: سألت أحمد ويحيى عن قول الناس: «جُبِلَتِ القلوبُ على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها؟» فقالا: ليس له أصل، وهو موضوع. (كما في «المنتخب من العلل للخلال»، لابن قدامة ٢٤). وقال أبو حاتم الرازي: «هذا حديث منكر، وكان ابن أخت عبد الرزاق يكذب». - يعني رواه عن عبد الرزاق - (كما في «علل الحديث» لابن أبي حاتم) (٢٥٢٣).
والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/٢٨٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (١٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٧٣) موقوفاً، وأخرجه ابن عدي (٢/٢٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٢١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٩٩) (٦٠٠) مرفوعاً.

وقد سئل الإمام السخاوي عن هذا الحديث، فقال: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، بل ولا عن ابن مسعود، بل ولا عن الأعمش، كما صرح به بعض الحفاظ». وأطال في نقد طرقه ووجوهه. انظر: «الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية» (١/٣٧٠ - ٣٧٧).
(٣) قاله أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز رحمه الله. أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية»، في ترجمته (٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/٤٥٦)، ومن طرقهم ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/١٣٨).

قال ابن كثير في ترجمة الخراز من «البداية والنهاية»، وفيات سنة (٢٧٧)، وذكر كلامه: «وهذا الحديث ليس بصحيح، ولكن كلامه عليه من أحسن ما يكون».

وقال بعض السلف: ذكّر النعم^(١) يُورث الحبّ لله عزّ وجلّ^(٢).

قال الفضيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام: أحبّني^(٣)، وأحبّ من يحبّني، وحبّني إلى خلقي^(٤) عبادي، قال: يا ربّ هذا أحبّك، وأحبّ من يحبّك، فكيف أحبّك إلى عبادك؟ قال: تذكرني ولا تذكر مني إلا حسناً^(٥).

ويروى عن كعب قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى أحبّ أن تحبّك جتّي^(٦) وملائكتي، وما ذرأت من الجنّ والإنس؟ قال: نعم يا ربّ، قال: حبّني إلى خلقي، قال: كيف أحبّك إلى عبادك^(٧)؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي؛ فإنّهم لا يذكرون مني إلا كلّ حسنة^(٨).

وعن أبي عبد الله الجدليّ قال^(٩): أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا

= وقال في ترجمة أبي علي الدقاق، وفيات سنة (٤١٢) وذكر هذا الكلام منسوباً إليه: «كلامه على هذا الحديث جيد، والحديث لا يصح بالكلية».

(١) في (ب) و(س): «النعم».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (٣) (١٢٦)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦ / ٣٣٤). مما سمعه عبد العزيز بن عمير الخراساني الزاهد من أبي سليمان الواسطي رحمهما الله تعالى.

(٣) في (ب): «أحبّني».

(٤) سقطت اللفظة من (ب) و(س) و(م)، وكتبت في (ت) ثم ضرب عليها.

(٥) لم أجده عن الفضيل، وإنما أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٩٥) عن عبد الله بن الحارث نحوه. وأخرج الختلي في «المحبة» (١٢٤) عن أبي فزارة نحوه.

(٦) في (س): «أحبّتي». وهو وهم.

(٧) في (س) و(م): «خلّقتك».

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٢ / ٢) ضمن أثر طويل.

(٩) في حاشية (ش): «قف على هذا الكلام البديع إلى آخره».

داودُ أَحَبَّنِي^(١)، وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَحَبَّبَنِي إِلَى النَّاسِ، قَالَ: يَا رَبِّ أَحِبُّكَ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكَ، فَكَيْفَ أَحَبَّكَ إِلَى النَّاسِ؟ قَالَ: تُذَكِّرُهُمْ آلَائِي وَنِعْمَائِي، فَلَا يَذْكُرُونَ مِنِّي إِلَّا حَسَنًا^(٢).

وُيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوا نِعَمَ اللَّهِ^(٣)»، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوجُودٌ فِي بَعْضِ نُسَخِ «كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ»^(٤).

وَالْحُبُّ عَلَى النَّعْمِ مِنْ جُمْلَةِ شُكْرِ الْمُنْعَمِ، وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ الشُّكْرَ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ.

وَمِنْ الْأَسْبَابِ أَيْضًا مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ: سَمِعْتُ عُتْبَةَ الْغُلَامَ يَقُولُ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطَاعَهُ، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَهُ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ^(٥)، وَمَنْ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ فَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: فَطُوبَاهُ^(٦) وَطُوبَاهُ حَتَّى خَرَّ سَاقِطًا^(٧) مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، خَرَّجَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ^(٨).

(١) فِي (ت) وَ(س): «أَحَبَّنِي».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي «الْخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ» (٦٠). وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (٣٧٤)، وَالتَّخْلِي فِي «الْمَحَبَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١٢٥) وَغَيْرِهِمْ.

(٣) فِي (ت): «يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ»، وَفِي (س) وَ(م): «لِحُبِّ».

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٧٨٩)، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

(٥) فِي (ش): «وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ».

(٦) فِي (ب) وَ(س) وَ(م): «وَطُوبَاهُ».

(٧) فِي حَاشِيَةِ (س) إِشَارَةٌ إِلَى نَسْخَةٍ: «سَاجِدًا».

(٨) فِي «الْمَحَبَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (٢١٠) وَعِنْدَهُ: «وَأَطُوبَاهُ»، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٦/٢٣٦).

وقال بُذَيْلُ بْنُ مَيْسَرَةَ: مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ أَحَبَّهُ، وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا زَهَدَ فِيهَا، خَرَّجَهُ
الإمامُ أحمدُ وغيره^(١).

ومن أعظم أسباب المعرفة الخاصة التَّفَكُّرُ في ملكوت السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ
وما خلق الله من شيء.

قال الجوزجاني: ثنا^(٢) صاحب لي عن جعفر بن سليمان قال: كنّا نكونُ عندَ
مالك بن دينارٍ عشيةَ جمعةٍ، فكانَ يجيءُ خليفَةُ العبدِيّ بعدَ العصرِ فيأخذُ بعضادتي
البابِ فيقول: يا أبا يحيى، عليك السَّلَامُ. يا أبا يحيى، لو أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يُعبدْ
إِلَّا عن رُؤيةٍ ما عبده أحدٌ؛ لا تُدرِكُهُ الأبصارُ^(٣)، ولكنَّ المؤمنينَ تفكَّروا في مجيءِ
هذا اللَّيْلِ إذا جاءَ فطبَّقَ كُلُّ شيءٍ، وملاً كُلُّ شيءٍ، ومحيى سُلطانَ النَّهارِ، وتفكَّروا
في مجيءِ هذا النَّهارِ إذا جاءَ فملاً كُلُّ شيءٍ، وطبَّقَ كُلُّ شيءٍ، ومحيى سُلطانَ اللَّيْلِ،
وتفكَّروا في السَّحابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وتفكَّروا في الفُلكِ التي
تجري في البحرِ بما ينفعُ النَّاسَ، وتفكَّروا في مجيءِ الشَّتَاءِ والصَّيْفِ، فواللهَ ما زالَ
المؤمنونَ يتفكَّرونَ فيما خلقَ لهم ربُّهم حتَّى أيقنَتْ قلوبُهم، وحتَّى كأنَّما عبدوا اللهَ
عن رُؤيةٍ^(٤).

وكانَ شَمِيطُ بْنُ عَجْلَانَ يقولُ: دلَّنا ربُّنا على نفسه في هذه الآية: ﴿وَإِنَّكَ

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٨٢٣)، والختلي في «المحبة» (٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٨/٣). ولم أجده في «الزهد» لأحمد بن حنبل.

(٢) في (س) و(م): «حدثني».

(٣) في (س) و(م): «لأنه لا تدركه الأبصار».

(٤) وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٣/٦) عن أبي الشيخ في «العظمة» (٦٣) بسنده إلى خليفة العبدِي.

رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴿ [الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣] الآية. انتهى^(١).

وفي القرآن شيءٌ كثيرٌ من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته وقدرته، وجلاله^(٢) وكماله وكبريائه، ورأفته ورحمته، وبطشه وقهره وانتقامه، إلى غير ذلك من صفاته العلى^(٣)، وأسمائه الحسنَى، والنَّدْبِ إلى التَّفَكُّرِ في مصنوعاتِه الدالة على كماله، فإنَّ القلوبَ مفطورةٌ على محبة الكمال، ولا كمالَ على الحقيقةِ إلا له سبحانه وتعالى، ولهذا كان السَّلَفُ يُفَضِّلُونَ التَّفَكُّرَ على نوافلِ البدنِ. وروِيَ ذلك عن ابنِ المُسيَّبِ والحسنِ^(٤).

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه: الفِكرَةُ في نِعَمِ الله أَفْضَلُ العِبَادَةِ^(٥). وقال عُبَيْدُ الله^(٦) بنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ: أَفْضَلُ النَّوَافِلِ طَوْلُ الْفِكْرِ^{(٧)(٨)}. وكان أَكْثَرُ عَمَلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه الِاعْتِبَارُ وَالتَّفَكُّرُ^(٩).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٣١).

(٢) هنا تنتهي القطعة الموجودة لدينا من النسخة (م).

(٣) هكذا رسمت في النسخ، موافقة لرسم المصحف، ويجوز رسمها هكذا: العُلا.

(٤) انظر كلام سعيد بن المسيب رحمه الله في «الزهد» لأبي داود (٤١٤)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم

(١/ ٣٤٩)، وكلام الحسن البصري رحمه الله في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٣٧١)، و«الزهد»

لأحمد بن حنبل (١٥٤٧)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٢٧١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣١٤).

(٦) في (س): «عبد الله».

(٧) في (س): «الفكرة». وفي حاشية (ش): «قف على ما ذكر».

(٨) لم أظفر بمن أخرج هذا الأثر. وقد ذكره المصنف في «تفسير الفاتحة».

(٩) سُئِلْتُ أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء رضي الله عنهما؟ فقالت: التفكير. أخرجه =

وكلام الإمام أحمد^(١) يدل على مثل هذا أيضًا^(٢).

وقال ذو النون: تُنال المعرفة بثلاث، بالنظر في الأمور كيف دبرها، وفي المقادير كيف قدرها، وفي الخلائق كيف خلقها^(٣).

وسئل أبو سليمان الداراني: بأي شيء تُنال معرفته^(٤)؟ قال: بطاعته، قيل: فبأي شيء تُنال طاعته؟ قال: به. انتهى^(٥).

وكُلِّما قَوِيَتْ معرفة العبد بالله قَوِيَتْ محبته له ومحبته لطاعته، وحصلت له لذة العبادات من الذكر وغيره على قدر ذلك^(٦).

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن ابن عمر^(٧) رضي الله عنهما قال: أخبرني

= أبو الشيخ في «العظمة» (٤٥)، وأخرج ابن المبارك في «الزهد» (٩٤٩) من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه: «وتفكر ساعة خير من قيام ليلة». وهو مروى عنه من وجوه في كتب الزهد. (١) في (ش) و(ب): «وكلام أحمد».

(٢) نقل مثنى بن جامع عنه في رجل أكل فشيع وأكثر الصلاة والصيام، ورجل أقل الأكل فقلَّت نوافله وكان أكثر فكرة، أيهما أفضل؟ فذكر ما جاء في الفكر: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»، قال: فرأيت هذه عنده أكثر - يعني: التفكير -.

نقله المصنف رحمه الله في «القواعد» (ص: ٢٢) ط الخانجي، وهو في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٣٣٧/١) ط الفقي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٣٩/٩).

(٤) في (س): «معرفة الله».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٧٢/٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥٢٣/١١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٦/٢٢)، (١٢٦/٣٤).

(٦) في حاشية (ش): «قف على ما ذكر إلى آخره».

(٧) هكذا في النسخ، وهكذا وقع للمصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٥٢٠/٢). والصواب: أنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُحِبُّ الذِّكْرَ كَمَا تُحِبُّ الْحَمَامَةُ وَكَرَّهَا، وَلَهُمْ أَسْرَعُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى وَرْدِهَا يَوْمَ ظَمِئَها^(١).

وعن مالك بن دينارٍ قَالَ: مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٢).

وعنه قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ، أَيُّهَا الصَّدِّيقُونَ، تَنَعَّمُوا بِذِكْرِي فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ وَفِي الْآخِرَةِ جَزَاءٌ^(٣).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْحِكْمَةِ: أَيُّهَا الصَّدِّيقُونَ، افْرَحُوا بِي، وَتَنَعَّمُوا بِذِكْرِي^(٤).

وَقَالَ مُسْلِمٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ^(٥) بِشَيْءٍ فِي صُدُورِهِمْ أَلَذَّ مِنْ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَحَبَّةِ أَهْلِ ذِكْرِهِ^(٦).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ غَسَّانٍ قَرَأْتُ فِي زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحِبُّوا اللَّهَ يَا صَدِّيقِيهِ، افْرَحُوا أَيُّهَا الصَّدِّيقُونَ بِاللَّهِ، وَتَنَعَّمُوا بِذِكْرِهِ^(٧).

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نواذر الأصول» (١/ ١٥٤) ط: عميرة، وابن أبي الدنيا - ولم أجده في أجزائه المطبوعة - وإنما ذكر إسناده ابن حجر في «نزهة السامعين» في رواية الصحابة عن التابعين» (٢٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٢) بهذا اللفظ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٨/ ٢) من طريق الإمام أحمد بلفظ: «ما تنعم المتعمون...».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٨/ ٢). وآخره: «... جزاء عظيم».

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٠٦).

(٥) في (ب) و(س): «المتقون». وأشير إلى نسخه في حاشية (ت).

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٤) عن مسلم بن يسار: «ما تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ الْخُلُوةِ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(٧) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٥٧).

وقال أحمد بن أبي الحواري: عن أبي جعفر الرقي: ما فرح أحد بغير الله إلا بالغفلة عن الله عز وجل^(١).

قال: وأخبرنا^(٢) محمود عمّن أخبره قال: رأيت بالبصرة رجلاً كثير الدؤوب قليل الطعام جيد البدن، فقلت له: أراك كثير الدؤوب قليل الطعام جيد البدن، قال: ذلك من فرحي بحب الله عز وجل، إذا ذكرت أنه ربي وأنا عبده لم يمنع^(٣) بدني أن يصلح^(٤).

وقال الفضل الرقاشي: والله لو جمع للعابدين جميع لذاذات الدنيا بخذافيرها لكان امتيهاؤهم أنفسهم لله بطاعته ألد وأحلى عندهم من ذلك كله^(٥).

وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات أن يكون ذكر الله عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف^(٦).

وقال زهير البابي^(٧): إن لله عبادة ذكره فخرجت نفوسهم إعظاماً واشتياقاً، وقوماً ذكره فوجلت قلوبهم فرقا وهيبة له، فلو أحرقوا بالنار لم يجدوا مس النار،

(١) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠٠).

(٢) في (س): «وحدثنا».

(٣) في «كتاب المحبة»: «لم يمتنع».

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٦٠).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠٩).

(٦) ذكره المصنف بسياق أطول في «جامع العلوم والحكم» (١٣٣/١) ولم أظفر به عن إبراهيم بن

أدهم، وفي معناه: كلام لشقيق بن إبراهيم البلخي، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦٦/٨).

(٧) تصحف في (س) إلى: «البامي»، وتصحف في حاشيتها إلى «اليامي».

وآخَرُونَ ذَكَرُوهُ فِي الشِّتَاءِ وَبَرْدِهِ فَارْفُضُوا عَرَقًا^(١) مِنْ خَوْفِهِ، وَقَوْمًا ذَكَرُوهُ فَحَالَتْ أَلْوَانُهُمْ غَيْرًا، وَقَوْمًا ذَكَرُوهُ فَجَفَّتْ أَعْيُنُهُمْ سَهْرًا^(٢).

وكان أبو حفص النيسابوري إذا ذكر الله تغيّرت عليه حاله، حتّى كان يرى ذلك منه جميع من حضره^(٣) ففعل ذلك مرّة، فلمّا رجع قال: ما أبعد ذكرنا من ذكر المحقّقين، فما أظنُّ مُحَقِّقًا^(٤) يذكر الله من^(٥) غير غفلة ثمّ يبقى بعد ذلك حيًّا إلاّ الأنبياء؛ فإنّهم أيدوا بقوة النبوّة، وخواصّ الأولياء بقوة ولايتهم^(٦).

ومع هذا كلّ فلو كُشِفَ الغطاء لتبيّن أنّ الأمر أعظم وأعظم، ولهذا يقول أهل الجنّة إذا كُشِفَتْ لهم الحجب ورأوه مُعَايَنَةً قالوا: «سُبْحَانَكَ مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»^(٧).

وفي حديث آخر: إنّ الله ملائكة في السّماء قيامًا إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملكٌ تقطر من عينيه دمعَةٌ إلاّ وقعت على ملكٍ يُسَبِّحُ، والله

(١) أي: سال عَرَقُهُمْ.

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٧٦٣) من طريق ابن أبي الدنيا. وأخرجه من وجه آخر (٢٧٦٩). وما في بعض المطبوعات: «ألوانهم غيرًا» تصحيف.

(٣) في (ب) و(ت): «حضر».

(٤) في (ب): «أن محققًا».

(٥) في (ب): «عن».

(٦) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣١٢/٢).

(٧) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٨٦/٤) من حديث سلمان رضي الله عنه. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

لكن فيه: أن ذلك من قول الملائكة الكرام عند وضع الميزان، لا من قول أهل الجنّة عند دخولهم الجنّة.

ملائكة سُجودًا منذُ خلقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَمْ يَرْفَعُوا رُؤُوسَهُمْ وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصُفُوفًا لَمْ يَتَفَرَّقُوا عَنْ مَقَامِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُكَ مَا يَنْبَغِي لَكَ، خَرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَالْأَجَرِيُّ مَرْفُوعًا^(١).

وَرُويَ نَحْوُهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مُرْسَلٍ^(٢).

وَرُويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَوْقُوفًا^(٣) نَحْوُهُ أَيْضًا^(٤).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْنَاكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَاكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا»^(٥). وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الرَّقَّةِ وَالْبِكَاءِ» (١٠٥). مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةٍ مَرْفُوعًا مُرْسَلًا. وَأَبُو

الشَّيْخِ فِي «الْعِظْمَةِ» (٥١٥) -. وَأَخْرَجَ الْأَجَرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (٨٩٥) حَدِيثَ سَلْمَانَ السَّابِقِ.

(٢) فِي (س): «مُرْسَلًا». أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ فِي «تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ» (٢٥٨) مِنْ مَرَاثِيلِ الْحَسَنِ.

(٣) فِي (ب) وَ(س): «مَرْفُوعًا!».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةٍ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَى» (٣٣).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٠٨) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٨٩).

وإذا كَانَ مخلوقٌ يقولُ في مخلوقٍ:

وكنْتُ أَرَى أَنْ قد تَنَاهَى بِي الهَوَى
إلى غَايَةٍ مَا فوقَهَا لِي مَطْلَبُ
فلَمَّا تَلَاقَيْنَا وعَايَنْتُ حُسْنَهَا
تَيَقَّنْتُ أَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ^(١)
فكيفَ بِالخَالِقِ المَلِكِ الحَقِّ العَظِيمِ؟ الذي لَا يُقَدَّرُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا يُحِيطُ خَلْقُهُ
بِهِ عِلْمًا، وَلَا يُحْصُونَ ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ.

فصل

وَمِنَ الأسبابِ الجَالِبَةِ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُعَامَلَةُ اللَّهِ بِالصَّدَقِ وَالإِخْلَاصِ
وَمُخَالَفَةِ الهَوَى؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لَتَفْضُلٍ^(٢) اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ وَأَنْ يَمْنَحَهُ مَحَبَّتَهُ.
قَالَ بَشْرُ الحَافِي: قَالَ فَتَحُ المَوْصِلِيُّ: مَنْ أَدَامَ النَّظَرَ بِقَلْبِهِ وَرَثَهُ ذَلِكَ الفَرَحَ
بِالمَحْبُوبِ، وَمَنْ أَثَرَهُ عَلَى هَوَاهُ وَرَثَهُ ذَلِكَ حَبَّةَ إِيَّاهُ، وَمَنْ اشْتَاقَ إِلَيْهِ وَزَهَدَ فِيمَا سِوَاهُ
وَرَعَى حَقَّهُ وَخَافَهُ بِالْغَيْبِ وَرَثَهُ ذَلِكَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ. خَرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ^(٣).
وَيُقَالُ: إِنَّ سَرِيًّا السَّقَطِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ لَهُ دُكَّانٌ فَاحْتَرَقَ السُّوقُ الَّذِي كَانَ فِيهِ
الدُّكَّانُ^(٤) وَلَمْ يَحْتَرِقْ دُكَّانُهُ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ تَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ فَرَأَى
أَنَّهُ قَدْ سَرَّ بِعَطْبِ النَّاسِ وَسَلَامَتِهِ، فَتَصَدَّقَ بِمَا فِي دُكَّانِهِ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ وَرَقَّاهُ إِلَى
دَرَجَةِ المَحَبَّةِ^(٥).

(١) ذكره أبو بكر محمد بن داود الظاهري في كتابه «الزهرة» (ص: ٢٧٤) لبعض أهل عصره. وعجز

البيت الأول عنده: إلى غاية ما بعدها لي مذهب، وصدر البيت الثاني: فلما تفرقنا تذكرت ما مضى...

(٢) في (س): «لفضل».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/٢٩٢).

(٤) في (ب) و(س): «دكانه».

(٥) رواها الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/٢٦٠).

وسئِلَ مرّةً عن حاله فأنشد:

مَنْ لَمْ يَيْتِ وَالْحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ لَمْ يَذِرْ كَيْفَ تَفَتَّتِ الْأَكْبَادُ^(١)
وَبَلَغَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ لَمَّا مَرَضَ رُفِعَ مَاؤُهُ إِلَى طَيِّبٍ^(٢)، فَلَمَّا رَأَاهُ الطَّبِيبُ قَالَ: هَذَا
عَاشِقٌ، فَصُعِقَ حَامِلُ الْمَاءِ وَغُشِيَ عَلَيْهِ^(٣).

وَنَظَرُوا إِلَى جَسَدِهِ مرّةً وَكَأَنَّهُ سَقِيمٌ مُضْنَى، فَقَالَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: هَذَا كُلُّهُ
مِنْ مَحَبَّتِهِ لَقُلْتُ^(٤).

وَسُئِلَ الْمُرْتَعِشُ: بِمَ تُنَالُ الْمَحَبَّةُ؟ قَالَ: بِمُؤَالَاةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُعَادَاةِ
أَعْدَائِهِ، وَأَصْلُهُ الْمُوَافَقَةُ^(٥).

وَمَنْ أَعْظَمَ مَا تُسْتَجَلَبُ بِهِ الْمَحَبَّةُ: كَثَرَةُ الذِّكْرِ مَعَ الْحُضُورِ.

قَالَ ذُو النُّونِ: مَنْ شَغَلَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ بِالذِّكْرِ قَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ نَوْرَ الْإِشْتِيَاقِ
إِلَيْهِ^(٦).

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٩/١٠). لكن في كتاب «من اسمه عمرو من الشعراء» (٢٠٥) لابن الجراح: نُسبَ إلى عمرو بن أحمد بن بديل النامي، أبي السري، مع بيتين قبله. وصدّره:

«مَنْ لَمْ يَيْتِ وَالْبَيْنُ يَصْدَعُ قَلْبَهُ»

(٢) في (س): «الطبيب».

(٣) القصة ذكرها عن الجنيد الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣٣٨/٤) ط دار المعرفة. وابن الجوزي في «التبصرة» (ص: ٥٠٠)، و«المدّش» (ص: ٥٠٠).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٧٣/١٠)، وعنه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٦٥/١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨٨/٢٠).

(٥) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» في ترجمة أبي محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري.

(٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧٨/٩).

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد: كَانَ يُقَالُ: من علامة المحبة لله دَوَامُ الذِّكْرِ بالقلبِ واللسانِ، وَقَلَمًا وَلَعَ المرءُ بذكرِ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَفَادَ منه حُبَّ الله عز وجل^(١).

ومِمَّا يُسْتَجَلَبُ به المحبةُ: تلاوةُ القرآنِ بالتدبُّرِ والتفكيرِ، ولا سِيَّما الآياتِ الْمُتَضَمِّنَةُ للأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ الباهراتِ، ومحبةُ ذلكِ يَسْتَوْجِبُ به العبدُ محبةَ الله^(٢) ومحبةَ الله له.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ» عن أنسٍ، أَنَّ رجُلًا كَانَ يُصَلِّي بهم وَيَخْتِمُ قراءَتَه بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُسْأَلَ عن ذلكِ، فَقَالَ: إِنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»^(٣).

ومن أسبابِ المحبةِ تذكُّرُ ما وَرَدَ في الكتابِ والسُّنَّةِ من رُؤيةِ أهلِ الجنةِ لربِّهم وزيارتهم له، واجتماعهم يومَ المَزيدِ، فَإِنَّ ذلكَ يَسْتَجَلِبُ^(٤) المحبةَ الخاصَّةَ.

وقد أشارَ إلى ذلكِ الحَسَنُ. قَالَ دَلَّهْمٌ عَنِ الحَسَنِ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِدْمَانِ التَّفَكُّرِ؛ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ خِلَالِ الخَيْرِ كُلِّهِ، وَبِهِ يَخْصُ اللهُ كُلَّ مُوَفَّقٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ مَا ظَفَرَ^(٥) بِهِ مُدْرِكٌ مِنْ تَفَكُّرٍ: مُخَالَصَةُ^(٦) الله، وَشُرْبُ بَكَاسٍ حُبِّهِ. وَإِنَّ أَحْبَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ ظَفَرُوا بِطَيِّبِ الحَيَاةِ، وَذَاقُوا لَذَّةَ نَعِيمِهَا بِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ

(١) قاله إبراهيم بن الجنيد الختلي في «المحبة» (ص: ١٠٥).

(٢) في (ت): «محبه لله».

(٣) لفظ هذا الحديث أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) لكن من حديث عائشة رضي الله عنها. أما حديث أنس، فقد علقه البخاري بعد حديث (٧٧٤) بلفظ آخر.

(٤) في (ب) و(ت) و(س): «يستجلب به»، وفي (س): «بالتاء».

(٥) في (س): «ظفرتم».

(٦) في (س): «بخالصة».

من مُناجاة حبيبهم، وما وَجَدُوا من حلاوة حُبِّه في قُلُوبِهِمْ، ولا سَيِّما إذا خَطَرَ على بَالِ أَحَدِهِمْ ذِكْرُ مُشَافَهَتِهِ، وكشفِ سُتُورِ الحُجُبِ عنه في المَقَامِ الأَمِينِ، والسُّرُورِ الدَّائِمِ، وأَراهُم جلالَه، وأَسَمَعَهُمْ لَذَّةَ^(١) مَنْطِقِهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابَ ما نَاجَوْه بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ؛ إِذْ قُلُوبُهُمْ بِهِ مَشْغُوفَةٌ، وَإِذْ مَوَدَّتُهُمْ إِلَيْهِ مَعْطُوفَةٌ، وَإِذْ هُمْ لَهُ مُؤَثَّرُونَ، وَإِلَيْهِ مُنْقَطِعُونَ، فَلْيُسَرَّ^(٢) الْمُصَفُّونَ لَهُ وَدَّهْمُ بِالْمَنْظَرِ العَجِيبِ بِالحَبِيبِ، فَوَاللَّهِ ما أَرَاهُ يَحِلُّ لِعَاقِلٍ، ولا يَجْمُلُ بِهِ أَنْ يَسْتَوْعِبَهُ سِوَى حَبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. خَرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَغَيْرُهُ^(٣).

(١) في (س): «الذيذ».

(٢) في (ب) و(س): «فليُسَّر».

(٣) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة». وفي حاشية (ت): «بلغ» ولم أجد هذا الأثر فيما وقفت عليه من

أجزاء ابن أبي الدنيا، ولم أجدّه عند غير المصنّف رحمه الله.

الباب الرابع

في علامات المحبة الصادقة

من التزام طاعة الله تعالى والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتِّباع رسوله

قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَآئِمَةً ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]: فوصف الله سبحانه المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلَّة^(١) على المؤمنين، والمرادُ لينُ الجانبِ، وخَفُضُ الجناحِ، والرَّحْمَةُ والرَّافَةُ للمؤمنين، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهذا يرجعُ إلى أنَّ المحبين لله يُحِبُّونَ أَحْبَاءَهُ وَيَعُودُونَ عَلَيْهِم بِالْعَطْفِ وَالرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ، وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك.

الثاني: العِزَّةُ على الكافرين، والمرادُ: الشَّدَّةُ والغِلْظَةُ عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وهذا يرجعُ إلى أنَّ المحبين له يُبْغِضُونَ أَعْدَاءَهُ، وذلك من لوازم المحبة الصادقة كما سبق تقريره أيضًا.

الثالث: الجِهَادُ في سبيله^(٢)، وهو مُجَاهَدَةُ أَعْدَائِهِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وذلك أيضًا

(١) في (ش) و(ت): «أذلة».

(٢) في (س): «سبيل الله».

من تمام مُعاداة أعداء الله الذي تستلزمه^(١) المحبة، وأيضاً فالجهاد في سبيل الله فيه دعاء الخلق إلى الله تعالى وردّهم إلى بابهِ بالقهر لهم والغلبة، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

قال مُجاهدٌ وغيره: يعني كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ^(٢). فخيرُ الناسِ للناسِ أنفعُهم لهم، ولا نفعَ أعظمُ من الدُّعاءِ إلى التَّوحيدِ والطَّاعةِ، والنَّهيِّ عن الشُّركِ والمعصية. وسُئِلَ الحسنُ عن رجلٍ له أُمٌّ فاجرةٌ، فقال: يُقَيِّدُها فما وصلها بشيءٍ أعظمَ من أن يكفَّها عن معاصي الله عزَّ وجلَّ^(٣).

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: سَمِعْتُ رَجُلَيْنِ مِنَ الزُّهَادِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: يَا أَخِي، مَا وَرِثَ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ؟ قَالَ: فَأَجَابَهُ الْآخَرُ: وَرِثُوا النَّظَرَ بِنُورِ اللَّهِ، وَالْعَطْفَ عَلَى أَهْلِ مَعَاصِي اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ يَعْطِفُ عَلَى قَوْمٍ قَدْ خَالَفُوا أَمْرَ^(٤) مَحْبُوبِهِمْ؟ فَقَالَ: مَقَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ؛ لِيُزِيلَهُم بِالْمَوَاعِظِ عَنْ فِعَالِهِمْ، وَأَشْفَقَ عَلَى أَبْدَانِهِمْ مِنَ النَّارِ، لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَقًّا حَتَّى يَرْضَى لِلنَّاسِ مَا يَرْضَاهُ^(٥) لِنَفْسِهِ^(٦).

(١) في (ب): «تستلزم».

(٢) «تفسير مجاهد» (ص: ٢٥٧).

(٣) أخرجه الحسين بن حرب في «البر والصلة» (٢٠٣) وكانت هذه المسألة أول ما ذكر به الحسن رحمه الله.

(٤) في (ش) و(ت): «مسرة».

(٥) في (ب): «يرضى». موافقاً لما في «الحلية».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٥) وعنده: «ما ورث أهل المحبة من محبوبهم؟»

الرَّابِعُ: أَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمًا، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِيمَا يَرْضَى بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَا يُبَالُونَ بِلَوْمٍ^(١) مَن لَامَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ رِضَا رَبِّهِمْ.

وهذا من علامات المحبة الصادقة، أَنَّ الْمُحِبَّ يَشْتَغِلُ بِمَا يَرْضَى بِهِ حَبِيبُهُ وَمَوْلَاهُ، وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ مَنْ حَمِدَهُ فِي ذَلِكَ أَوْ لَامَهُ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُهُمْ: وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةٍ حَبًّا لِدِكْرِكَ فَلْيُلْمَنِي اللَّوْمُ^(٢) الْخَامِسُ: مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ طَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

قَالَ مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ: كَانَ نَاسٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا حُبًّا شَدِيدًا، فَأَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِحَبِّهِ عِلْمًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]^(٣).

وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بَيْنَ مُحِبَّتِهِ وَمُحَبَّةِ رَسُولِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].
وكَذَلِكَ وَرَدَ فِي السُّنَّةِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ جَدًّا قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ بَعْضِهَا.

وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ رَسُولِهِ ﷺ بِاتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ،

(١) فِي (س): «بَلُومَةٌ».

(٢) الْبَيْتَانِ لِأَبِي الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَزِينٍ، انْظُرْ: «الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ» لِابْنِ قَتِيْبَةَ (٢/ ٨٣٢) وَغَيْرِهِ مِنْ دَوَاوِينِ الْأَدَبِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِي فِي «الْمُحَبَّةِ» (٦٢)، وَأَخْرَجَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الْحَسَنِ: الطَّبْرِي فِي «تَفْسِيرِهِ»

كما قال الجنيد وغيره من العارفين: الطُّرُقُ إلى الله مسدودةٌ إلا مَنْ اقتفى أثرَ الرّسولِ ﷺ^(١).

وكلامُ أئمةِ العارفينَ في هذا البابِ كثيرٌ جدًّا.

قال إبراهيمُ بنُ الجنيد: يُقالُ: علامةُ المُحبِّ على صدقِ الحبِّ ستُّ خصالٍ: أحدها: دوامُ الذِّكرِ بقلبه بالسُّرورِ بمولاه.

والثَّانيةُ: أثرُهُ^(٢) محبةُ سيِّده على محبةِ نفسه ومحبةِ الخلائقِ، يبدأ بمحبةِ مولاه قبلَ محبةِ نفسه ومحبةِ الخلائقِ.

والثَّالثةُ: الأنسُ به، والاستِثقالُ لكلِّ قاطعٍ يقطعُ عنه، أو شاغلٍ يشغله عنه.

والرَّابعةُ: الشَّوقُ إلى لقائه، والنَّظرُ إلى وجهه.

والخامسةُ: الرِّضا عنه في كلِّ شديدةٍ وضرٍّ ينزلُ به.

والسَّادسةُ: اتِّباعُ رسوله ﷺ^(٣).

ومحبةُ الرّسولِ ﷺ على درجتين:

إحداهما: فرضٌ، وهي المحبةُ التي تقتضي قَبولَ ما جاء به^(٤) من عندِ الله، وتلقَّيه بالمحبةِ والتَّعظيمِ، والرِّضا به والتَّسليمِ^(٥)، وعدمَ طلبِ الهدى من غيرِ طريقه

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٢٥٧).

(٢) هكذا في جميع النسخ، وفي حاشية (س): «لعلها: إثاره». والأثرة: الاسم من الإيثارة.

(٣) «المحبة»، لإبراهيم الختلي، ابن الجنيد (١٦٢).

(٤) في (س): «ما جاء به الرسول».

(٥) في (س): «والرضا والتعظيم والتسليم».

بالكلية، ثم حُسن الاتِّباع له فيما بَلَغَه عن ربِّه من تصديقِه في كُلِّ ما أُخبر^(١)، وطاعته فيما أَمَرَ به من الواجبات، والانتِهَاء عما نَهَى عنه من المُحرَّمات، ونُصرة دينه، والجهاد لِمَن خالفَه بحسبِ القُدرة، فهذا القَدْر لا بدَّ منه، ولا يتمُّ الإيمانُ بدونه.

والدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَضْلٌ، وهي المحبَّة التي تقتضي حُسن التَّأْسِّي به، وتحقيق الاقتداء بسُنَّتِه في أخلاقه وآدابه، ونوافله وتطوُّعاته، وأكله وشربه ولباسه، وحُسن مُعاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطَّاهرة^(٢)، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلبِ عند ذِكْرِهِ وتصوره، وكثرة الصَّلَاة عليه؛ لِمَا سَكَنَ في القلبِ من محبَّته، وتعظيمه وتوقيره، ومحبَّة استماع^(٣) كلامه، وإثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زُهدِه في الدُّنيا، والاجتزاء باليسير منها، ورغبته في الآخرة.

قال سهلُ التُّسْتَرِيُّ: مِنْ عِلَامَةِ^(٤) حُبِّ الله: حُبُّ القرآن، وعلامةُ حُبِّ الله وحُبِّ القرآن: حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ، وعلامةُ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ: حُبُّ السُّنَّةِ، وعلامةُ حُبِّ السُّنَّةِ: حُبُّ الآخرة، ومن علامة^(٥) حُبِّ الآخرة: بُغْضُ الدُّنيا، وعلامةُ بُغْضِ الدُّنيا: أن لا يأخذَ منها إلَّا زادًا يُبْلَغُه^(٦) إلى الآخرة^(٧).

(١) في (ب): «أخبر به».

(٢) في (ب): «الظاهرة».

(٣) في (ب): «سماع».

(٤) في (س): «من علامات».

(٥) في (ش) و(ت): «ومن علامات» وفي «قوت القلوب»: «وعلمة».

(٦) في «قوت القلوب»: «وبُلْغَة».

(٧) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» في ذكر أحكام المحبة (٢/ ٨٨).

فصل

وقد ذكرنا في الباب الأول أنَّ محبة الله عزَّ وجلَّ الواجبة تقتضي محبة ما أوجبَ من الطاعاتِ وامتنالها، وكراهة ما كره^(١) من المحرماتِ واجتنابها، وأنَّ محبته المستحبة^(٢) تقتضي محبة التقربِ إليه بالنوافلِ، والورعِ عن دقائق المكروهاتِ. والمحبة الواجبة تقتضي أيضًا مخالفة الهوى، وإيثار ما يحبُّه الله ويرضاهُ على ما تشتهيهِ النفسُ وتهواه.

فإذا تمكَّنت المحبة في القلبِ وامتلاً القلبُ منها أخرجت^(٣) من القلبِ محبة كلِّ ما يكرهه الله، فلم يبقَ في القلبِ سوى محبة الله ومحبة ما يحبُّه، فلم تنبعث الجوارحُ إلا إلى الطاعاتِ التي تقتضي التقربَ إلى الله، وصارت النفسُ حينئذٍ مطمئنة.

والى هذا^(٤) الإشارةُ في الحديثِ الإلهيِّ: «إِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»^(٥)، وقد سبقَ ذكره. وروى إبراهيمُ بنُ الجُنَيْدِ بإسناده عن فَرْقِدِ السَّبَخِيِّ، قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرٌ مِنْ هَوَاهُ، وَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرٌ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ، وَالْمَحَبَّةُ مُنْتَهَى الْقُرْبَةِ وَالْاجْتِهَادِ، وَلَنْ^(٦) يَسَامَ الْمُحِبُّونَ مِنْ طَوْلِ اجْتِهَادِهِمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّونَهُ وَيُحِبُّونَ ذِكْرَهُ، وَيُحِبُّونَهُ إِلَى خَلْقِهِ،

(١) في (ب) و(س): «كرهه».

(٢) في (ب): «المستحسنة».

(٣) في (ب): «خرجت».

(٤) في (ب): «هذه».

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (س): «ولم»، وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

وَيَمْشُونَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالنَّصَائِحِ، وَيَخَافُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ تَبْدُو الْفَضَائِحُ، أَوْلَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُوهُ وَأَهْلُ صِفَوْتِهِ، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَا رَاحَةَ لَهُمْ دُونَ لِقَائِهِ^(١).

وعن ثور بن يزيد^(٢) قَالَ: نَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ وَحْدَانِيٌّ مُتَنَبِّذٌ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَحْدَانِيٌّ؟ قَالَ: عَادَيْتُ الْخَلْقَ فَيْكَ، قَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ مُحِبَّتِي أَنْ تَعْطِفَ عَلَى عِبَادِي، وَتَأْخُذَ عَلَيْهِمْ^(٣) بِالْفَضْلِ، هُنَالِكَ أَكْتُبُكَ مِنْ أَوْلِيَائِي، وَمِنْ أَحِبَّائِي، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ كَتَبْتُكَ فِي دِيْوَانِ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ^(٤).

وعن عبيد الله بن محمد التيمي قَالَ: سَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ عَنْ بَعْضِ أَوْلَئِكَ الصُّخَامِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ عَلَى الْمَخَافَةِ قَدْ يُغَيِّرُهُ الرَّجَاءُ، وَالْعَمَلَ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَا يَدْخُلُهُ الْفُتُورُ^(٥).

وعن عبد الله بن أبي نوح قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْعُبَادِ يَقُولُ فِي كَلَامِهِ: إِذَا سَيِّمَ الْبَطَّالُونَ مِنْ بَطَالَتِهِمْ فَلَنْ يَسَاءَ مُجِبُّوكَ مِنْ مُنَاجَاتِكَ وَذِكْرِكَ^(٦).

وعن أبي جعفر المحولي، قَالَ: وَلِيُّ اللَّهِ الْمُحِبُّ لِلَّهِ لَا يَخْلُو قَلْبُهُ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، وَلَا يَسَاءُ مِنْ خِدْمَتِهِ، فَإِذَا أَعْرَضَ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٧) بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ^(٨).

(١) أخرجه ابن الجنيدي الختلي في «المحبة» (١٣٥).

(٢) في (س): «زيد» تصحيف.

(٣) في (ب): «عنهم».

(٤) أخرجه ابن الجنيدي الختلي في «المحبة» (٢٤٨).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٣٧).

(٦) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة». والقول أخرجه الختلي في «المحبة» (١٤١).

(٧) في (ب): «أقبل عليه».

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٧٠).

وعن مسلم أبي عبد الله قال: مَنْ أَحَبَّ الله عَزَّ وَجَلَّ آثَرَ هَوَى الله عَزَّ وَجَلَّ على^(١) محبة نفسه، وَمَنْ خَشِيَ الله تعالى خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَاتٍ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ بَيْنَ خَوْفٍ وَشَفَقَةٍ، وَطَاعَةٍ وَمَحَبَّةٍ^(٢).

وعن الفضيل بن عياض، قال: الحبُّ أَفْضَلُ مِنَ الْخَوْفِ، أَلَا تَرَى إِذَا كَانَ لَكَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا يُحِبُّكَ وَالْآخَرُ يَخَافُكَ، فَالَّذِي يُحِبُّكَ مِنْهُمَا يَنْصَحُكَ شَاهِدًا كُنْتَ أَوْ غَائِبًا بِحُبِّهِ إِيَّاكَ، وَالَّذِي يَخَافُكَ عَسَى أَنْ يَنْصَحَكَ إِذَا شَهِدْتَ لِمَا يَخَافُ، وَيَعُشُّكَ إِذَا غَبْتَ وَلَمْ يَنْصَحَكَ^(٣).

وعن سعيد بن عمران بن زُرَّارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ كِلَابَ بْنَ جُرَيْجٍ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الطُّفَاوَةِ^(٤) وَهُوَ يُوصِيهِ بِطَرَائِقِ الْبِرِّ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا يَقُولُ:

وَكُنْ لِرَبِّكَ ذَا بِرٍّ لَتَخْدَمَهُ إِنَّ الْمُحِبِّينَ لِلْأَحْبَابِ خُدَّامٌ

قَالَ: فَصَاحَ الطُّفَاوِيُّ صَبِيحَةً فَسَقَطَ^(٥) مَغْشِيًّا عَلَيْهِ^(٦).

وعن أبي عبد الرحمن المغازلي قال: لَا يُعْطَى طَرِيقَ الْمَحَبَّةِ غَافِلٌ وَلَا سَاهٍ^(٧)، الْمُحِبُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَائِرُ الْقَلْبِ كَثِيرُ الذِّكْرِ، مُتَسَبِّبٌ إِلَى رِضْوَانِهِ بِكُلِّ

(١) في (س): «على هوى».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٣٤).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (٩٦).

(٤) في (ش) و(ت): «من أهل الطُّفَاوَةِ». وفي حاشية (ب): «صوابه: الطُّفَاوَةُ». وهذه النسبة إلى بني أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وأمهم طفاوة بنت جرم ابن ريان.

(٥) في (س): «فخر».

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٢٨).

(٧) تصحفت في (ش) إلى: «شاهن».

سَبِيلٍ يَقْدَرُ عَلَيْهَا^(١) مِنَ الْوَسَائِلِ وَالنَّوَافِلِ ذَوْبًا ذَوْبًا، وَشَوْقًا شَوْقًا^(٢).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ، قَالَ: مَا يَكَادُ يَمَلُّ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُحِبُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَكَادُ يَسْأَمُ مِنْ ذَلِكَ^(٣).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَعِيمٍ الْمَوْصِلِيُّ: إِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّ التَّعَبَ وَالنَّصَبَ لِلَّهِ، إِنَّهُ لَنْ يُنَالَ حُبُّ اللَّهِ بِالرَّاحَةِ^(٤).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ^(٥) أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبَعْضِ الْعَارِفِينَ^(٦): أَوْصِنِي، قَالَ: اقْتَنِ^(٧) فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَوَصَّلْ إِلَى اللَّهِ بِالْحَسَنَاتِ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ أَرْضَى لِلسَّيِّدِ مِمَّا يُحِبُّ، فَبَادِرْ^(٨) مُحَبَّتَهُ يُسْرِعْ فِي مُحَبَّتِكَ، ثُمَّ بَكِي، فَقَالَ لَهُ: زِدْنِي رَحْمَكَ^(٩) اللَّهُ، قَالَ: الصَّبْرُ عَلَى مُحَبَّةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ رَأْسُ كُلِّ بَرٍّ، أَوْ قَالَ: كُلُّ خَيْرٍ^(١٠).

وَاجْتَمَعَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ، وَقَاسِمُ الْجَوْعِيِّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ بَعْدَ

(١) فِي (ب): «سَبَبٌ قَدَرُ عَلَيْهَا».

(٢) فِي حَاشِيَةِ (س): «وَسُومًا سُومًا» وَلَا وَجْهَ لَهُ، وَجَاءَتْ: «ذَوْبًا» مَهْمَلَةً فِي (ب) وَ(س) «ذَوْبًا»، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي «الْمُحَبَّةِ» لِلْخَتَلِيِّ (٣٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمُحَبَّةِ» (٢١).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَنِيدِ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمُحَبَّةِ» (٢٩)، وَلَيْسَ فِي الْمَطْبُوعِ ذِكْرُ مُحَمَّدِ بْنِ نَعِيمٍ الْمَوْصِلِيِّ.

(٥) فِي حَاشِيَةِ (ش): «قَفَّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ إِلَى آخِرِهِ».

(٦) فِي (ب): «الْعَابِدِينَ».

(٧) تَصَحَّفَتْ فِي (س) إِلَى: «أَفْش»!

(٨) فِي (س): «فَبَادِرْ فِي».

(٩) فِي (ب): «يَرْحَمُكَ».

(١٠) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّبْرِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهِ» (١٨٢)، وَهُوَ سُؤَالٌ مِنْ قُرَةِ النَّحَاتِ لِعَابِدٍ مِنْ أَهْلِ الْأُرْدُنِّ مِمَّنْ كَانَ يَأْوِي جِبَالَهَا.

صلاة العتمة، وقد خرجوا من المسجد إلى بيت رجلٍ قد دعاهم إلى طعام صنعَه لهم، فأنشدَهم رجلٌ قبلَ دخولِ البابِ^(١):

علامةُ صدقِ المُستخِصِّينَ بالحبِّ بلوغُهم المجهودَ في طاعةِ الرَّبِّ
وتحصيلُ طيبِ القوتِ من مُجتَنائِهِ وإنْ كانَ ذاكَ القوتُ في مُرتَقَى صعبٍ

فلم يزل يُردِّدُه وهم قيامٌ حتَّى أذنَ مُؤذِّنُ الفجرِ، ورجعوا إلى المسجدِ، وقد رُويت^(٢) بيتانِ آخرانِ مع هذينِ البيتينِ، وهما:

وإمساكُ سُوءِ اللَّفْظِ عن ولدِ جنسِهِم وإنْ ظَلَمُوا فالعفوُ^(٣) من ذاكِ بالخطبِ^(٤)
أولئكِ بالرَّحْمَنِ قَرَّتْ عُيُونُهُم وحلُّوا من الإخلاصِ بالمنزلِ الرَّحْبِ^(٥)

وقال مُضَرُّ: اجتمعنا ليلةً على الساحلِ ومعنا مسلمٌ أبو عبدِ الله، فقال رجلٌ من

الأزدِ:

ما للمُحِبِّ سِوَى إرادةِ حُبِّهِ إِنَّ المُحِبَّ بِكُلِّ بَرٍّ يَضَرُّ^(٦)

قال: فبكى مُسلمٌ حتَّى خَشِيتُ والله أن يموتَ. خرَّجَه ابنُ أبي الدنيا^(٧).

(١) في (ب): «الدار»، وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٢) هكذا في النسخ.

(٣) في حاشية (س): «بالعفو».

(٤) في «المحبة»: «فالعفو من ذلك الخطب».

(٥) أورد الشعر كله ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٦٠) دون القصة، وأخرج القصة دون البيتين

الآخرين: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢٤/٦).

(٦) في حاشية (س): لعله: «يصدع». ولا حاجة إليه.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقعة والبكاء» (١٢١).

الباب الخامس

في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم، وأنة غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم

خَرَجَ ابْنُ مَاجَهَ^(١) مِنْ رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ الْأَدْرَعِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ قِرَاءَةً عَالِيَةً، فَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ، فَحَمَلُوا نَعْشَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْفُقُوا بِهِ رَفَقَ اللَّهُ بِهِ، إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، قَالَ: وَحَضَرَ حُفْرَتَهُ، فَقَالَ: «أَوْسِعُوا لَهُ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ حَزَنْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٢).

وَرَوَى أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَا يَسْأَلُ عَبْدٌ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْقُرْآنَ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(٣).

وَرَوَاهُ الْحَرُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مَرْفُوعًا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي الْمُصْحَفِ»^(٤)، وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ.

وَرَوَيْنَا^(٥) مِنْ طَرِيقِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ

(١) زاد في (س): «والترمذي» وهذا خطأ ظاهر، فالترمذي لم يخرج به.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٩٧)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٥٢)، وابن

الجعدي في «مسنده» (١٩٥٦)، والطبراني (٨٦٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠١٧).

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (ترجمة الحر بن مالك)، وابن المقرئ في «معجمه» (٤٩٨)، وأبو

نعيم في «الحلية» (٢٠٩/٧) وقال: «غريب تفرد به الحر بن مالك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(٢٠٢٧). قال ابن عدي والبيهقي: منكر.

(٥) في (س): «ورويناه».

قَالَ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّمَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(١).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزِيِّ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: لَا تَبْلُغُوا ذِرْوَةَ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(٢).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزِيِّ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَفْصٍ يَذْكُرُ عَنْ عُرْوَةَ الرَّقِّيِّ قَالَ: حُبُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: حُبُّ الْقُرْآنِ، وَحُبُّ رَسُولِهِ ﷺ: الْعَمَلُ بِسُنَّتِهِ^(٣).
وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازِيُّ: مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّ كَلَامَهُ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ تِلَاوَتِهِ^(٤).

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ^(٥): قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ الْقُرْآنِ^(٦).
قَالَ^(٧): وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي ثَرَابٍ النَّخَشَبِيِّ هَذِهِ الْأَيَّاتَ:
لَا تُخَدَعَنَّ فَلِلْمُحِبِّ دَلَائِلُ وَلَدَيْهِ مِنْ تُحَفِ الْحَبِيبِ وَسَائِلُ

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٥)، وهو في أمالي ابن سمعون الواعظ (١٧١). وفي حاشية (ش): «قف على هذا الكلام البديع».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧ / ٢٧١ - ٣٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠٧).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٩٧).

(٤) نقله المصنف رحمه الله أيضاً في «نزهة الأسماع».

(٥) في حاشية (س): «بلغ».

(٦) «قوت القلوب» (٨٨ / ٢) وقد سبق ذكره بتمامه.

(٧) أي: أبو طالب المكي.

منها تَنَعَّمُ بِهِ بِمُرِّ بَلَائِهِ وسروره في كل ما هو فاعِلٌ
فالمنعُ منه عطيةٌ مقبولةٌ والفقْرُ إكرامٌ وبرٌّ عاجِلٌ
ومن الدلائل أن يرى من عَزَمَهُ طوعَ الحبيبِ وإن أَلَحَّ^(١) العاذِلُ
ومن الدلائل أن يرى مُتَبَسِّمًا والقلبُ فيه من الحبيبِ بلا بِلْ
ومن الدلائل أن يرى مُتَفَهِّمًا لكلام^(٢) مَنْ يحظى لديه السَّائِلُ
ومن الدلائل أن يرى مُتَقَشِّفًا مُتَحَفِّظًا في كل ما هو قَائِلُ^(٣)

وقال أبو طالب: حدَّثونا عن بعض المريدين قال: وجدتُ حلاوةَ المُناجاةِ في
شِدَّةِ^(٤) الإرادةِ فأدمنتُ على قراءةِ القرآنِ ليلاً ونهاراً، ثمَّ لِحِقْتَنِي^(٥) فترةٌ، فانقطعتُ
عن التلاوةِ فسمعتُ قائلاً يقولُ في المنام:

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي فَلِمَ جَفَوْتَ كِتَابِي
أَمَا تَدَبَّرْتَ مَا فِيهِ مِنْ لَطِيفِ عِتَابِي

قال: فانتبهتُ وقد أُشربَ قلبي محبةَ القرآنِ، فعاودتُ إلى حالِي الأولى^(٦).

(١) في (ب): «ألح به».

(٢) في (ب): «بكلام».

(٣) «قوت القلوب»، لأبي طالب المكي (١٠٣/٢).

(٤) سقطت اللفظة من (ب)، والتي تليها من (ت). وتصحفت في (س) إلى: «سر الإرادات». وشدة الإرادة: هي حال حدة الإقبال والتعبد والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى.

(٥) في (س): «الحقني».

(٦) في (ب): «الأول». وفي حاشية (ت): «بلغ» وذكر القصة: أبو طالب المكي في «قوت القلوب»

(١٠٥/١)، (٨٨/٢)، والموضع الثاني أقرب لما ذكره المصنف هنا. وأورد القصة ابن العديم في

«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٦٠٩/٢) بسنده إلى أحمد بن جعفر الأرتاحي، وهو الذي سمع

ذلك من شيخ كبير بأولاس - حصن على ساحل بحر الشام قرب طرسوس - رحمهم الله.

الباب السادس

في أنس المحبين بالله،

وأنه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه

ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ جَبْرِيلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِحْسَانِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفَاتِ^(٢) مَنْ السَّلَفِ: مَنْ عَمِلَ اللَّهُ عَلَى الْمُشَاهَدَةِ فَهُوَ عَارِفٌ، وَمَنْ عَمِلَ عَلَى مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ فَهُوَ مُخْلِصٌ^(٣).

فهذان مقامان:

أحدهما: الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ، واطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، وَقُرْبِهِ مِنْهُ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ وَعَمِلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ فَهُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ اسْتِحْضَارَهُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ^(٤) يَمْنَعُهُ مِنَ الِاتِّفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ بِالْعَمَلِ.

والثاني: المعرفة التي تستلزم المحبة الخاصة، وهو^(٥) أن يعمل العبد على

(١) هو أول حديث في «صحيح مسلم» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ش) و(ت) و(س): «العارفين».

(٣) هو من كلام فاطمة النيسابورية، المتوفاة (٢٢٣هـ) رحمها الله تعالى. نقله ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣١٥).

(٤) في (س): «علمه».

(٥) في (ب): «وهي».

مُشَاهِدَةِ اللَّهِ بِقَلْبِهِ^(١)، وهو أن يَتَنَوَّرَ قَلْبُهُ بنور الإيمان، وتنفذ بصيرته في العرفان حتى يصير الغيب عنده كالعيان، وهذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهل هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر.

وقد فسّر طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] بهذا، ومثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] الآية، وقد فسرها أبي بن كعب وغيره من السلف بأن المراد مثل نور الله في قلب المؤمن^(٢).

ومن هذا حديث حارثة المشهور لما قال للنبي ﷺ: وكأني أنظر إلى عرش ربّي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها، فقال النبي ﷺ: «عرفت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه»، وهذا الحديث روي مُرسلاً^(٣)، وروى مُسنّداً مُتصلاً^(٤)، لكن من وجوه ضعيفة.

وخطب عروة إلى ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يُجبه بشيء، ثم رآه بعد ذلك فاعتذر إليه، وقال: كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا، خرّجه أبو نعيم وغيره^(٥).

(١) في (ش) و(ت): «مشاهدته بقلبه».

(٢) هذا تفسير المشكاة: روى ابن أبي حاتم (١٤٥٦١)، والطبري (٣٠٢/١٧) من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: «مثل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة. قال: المشكاة صدره، والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره، والزجاجة قلبه».

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٠٦٤) من وجه آخر.

(٤) أخرجه عبد بن حميد (٤٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٠٧).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٩/١)، فأين من هذا من يتشاغلون عن طوافهم بالأبنية المتطاولة، أو بأجهزة الاتصال بالخلق والانقطاع عن الخالق، وغير ذلك مما استجد في آخر الزمان؟!

ويتولّد من هذين المقامين للعارفين مقام الحياء من الله عز وجل، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم عن أبيه، عن جدّه، أنّه سُئِلَ عن كشف العورة خاليًا فقال: «الله أحقُّ أن يُستَحْيَا منه»^(١).

وقد ندب النبي ﷺ إلى دوام استحضار معيّة الله وقُربِهِ، وإلى الحياء منه بذلك في غير حديث، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية.

وخرّج البزار من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، ما تركية المرء نفسه؟ قال: «أن يعلم»^(٢) أن الله معه حيث كان»^(٣).

وخرّج الطبراني من حديث عبادة بن الصّامت، عن النبي ﷺ قال: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت»^(٤).

وبإسناد فيه نظر من حديث أبي أمامة، عن النبي ﷺ: «ثلاثة في ظل الله يوم لا ظلّ إلا ظله، رجل حيث توجه علم أن الله تعالى معه...»^(٥).

(١) علقه البخاري قبل حديث (٢٧٨)، وأخرجه أحمد (٢٠٠٣٤)، وأصحاب السنن.

(٢) في (ش) و(ت): «قال: يعلم» وهو موافق لبعض المصادر، والمثبت من (ب) و(س) موافق لبعضها.

(٣) لم أجده في «مسند البزار»، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الأحاد والمثاني» (١٠٦٢)، والطبراني في «الصغير» (٥٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٢٦).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦) وفي «مسند الشاميين» (٣٠٥ / ١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٤ / ٦). وغيرهما.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٣٥) وتمتته: «... ورجل دعت امرأته إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل أحب بجلال الله عز وجل».

ومن حديث سعيد بن يزيد الأزدي، أنه قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من صالحٍ قومك»^(١).
ورؤينا^(٢) بإسناد فيه ضعف من حديث أبي أمامة، أن النبي ﷺ قال: «استح^(٣) من الله استحياءك من رجلين من صالحٍ عشيرتك، هما معك لا يفارقانك»^(٤).
وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

كأن رقيباً منك يرعى خواطري	وأخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناى بعدك منظرًا	لغيرك إلا قلت: قد رمقاني
ولا بدرت من في بعدك لفظة	لغيرك إلا قلت: قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة	على القلب إلا عرجا بعناني
إذا ما تسلى القاعدون عن الهوى	بذكر فلان أو كلام فلان
وجدت الذي يسلي ^(٥) سواي يشوقني	إلى قريبكم حتى أمل مكاني
وإخوان صدق قد سيئت لقاءهم	وغضضت طرفي عنهم ولساني
وما البغض أسلى ^(٦) عنهم غير أنني	أراك على كل الجهات تراني ^(٧)

(١) في (ش) و(ت): «أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من صالح قومك». والحديث أخرجه أحمد في «الزهد» (٢٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٥٣٩). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٤٣)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠٩٩).

(٢) في (ت) و(س): «ورؤيناه».

(٣) في (ش) و(ت): «استحي»، وفي «الكامل»: «استحي».

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة جعفر بن الزبير (٣٦٥ / ٢)، وأشار البيهقي إلى ضعفه في «الشعب» (٧٣٤٣).

(٥) في (ش) و(ت): «يسلا»، وفي (ب): «يسلو»، وفي (س): «يشكي»، وفي حاشيتها: المثبت.

(٦) وفي (ب): «أسلوا».

(٧) قال المصنف ابن رجب رحمه الله في آخر «كشف الكربة»: «ولأبي عبادة البحرني في هذا المعنى =

ويتولّد من ذلك أيضًا: الأنس بالله، والخلوة لمُناجاته وذكره، واستشقال ما يشغل عنه من مُخالطة الناس والاشتغال بهم.

وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يُصَلِّي فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ»، أو: «رَبُّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ»^(١).

وأنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»^(٢).

وفي حديث الحارث الأشعري، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة، وأبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»^(٤).

وصحّ من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ^(٥) ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ

= أبيات حسنة، لكنه أساء بقولها في مخلوق، وقد أصلحت منها كلمات حتى استقامت على الطريقة». فذكرها. ونسب الأبيات للبحري: التنوخي في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» (١٤٥/٦). ولم أجد لها في ديوان البحري. ونسب الجرجاني البيت الأول في كتابه «الوساطة بين المتنبّي وخصومه» (ص: ٢١٨) إلى محمد بن داود.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧١٧٠)، و(١٧٨٠٠) في ضمن حديث طويل، والترمذي (٢٨٦٣) (٢٨٦٤) وقال: «حسن صحيح غريب».

(٤) علقه البخاري قبل حديث (٧٥٢٤) عن أبي هريرة. وأخرجه من حديثه: الإمام أحمد (١٠٩٦٨)، وابن ماجه (٣٧٩٢). وأخرجه الحاكم (٤٦٩/١) من حديث أبي الدرداء.

(٥) في (ش) و(ب): «مع».

(٦) في (ش): «فإذا».

ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً»^(١).

وَيُرَوَّى^(٢) بِإِسْنَادٍ فِيهِ نَظَرٌ، عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُحَدِّثَ رَبَّهُ فَلْيَقْرَأُ»^(٣).

وَقَالَ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ كَلِّمُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَكَلِّمُوا النَّاسَ قَلِيلًا، قَالُوا: كَيْفَ نَكَلِّمُ اللَّهَ كَثِيرًا؟ قَالَ: اخْلُؤُوا بِمُنَاجَاتِهِ، اخْلُؤُوا بِدُعَائِهِ، خَرَّجَهُ أَبُو نَعِيمٍ^(٤).

وَالتَّوْرَةُ اسْمُ جَنْسٍ لِلْكِتَابِ الْمُتَقَدِّمَةِ كُلِّهَا، وَتُسَمَّى أَيْضًا إِنْجِيلًا وَقِرْآنًا.

وَخَرَّجَ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ^(٥) عَنْ رِيَّاحٍ^(٦) قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ حَتَّى أَقْعَدَ مِنْ رَجْلَيْهِ، فَكَانَ يُصَلِّي جَالِسًا أَلْفَ رَكْعَةٍ، فَإِذَا صَلَّى الْعَصْرَ احْتَبَى فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَيَقُولُ: عَجِبْتُ لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ أُنْسَتْ بِسِوَاكَ، بَلْ عَجِبْتُ لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ اسْتَنَارَتْ قُلُوبُهَا بِذِكْرِ سِوَاكَ^(٧).

وَرَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٥).

(٢) فِي (س): «وَرَوَيْنَا».

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادٍ» (٨/ ١٦٥).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/ ٩٤) (٦/ ١٩٥).

(٥) فِي (س): «بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ».

(٦) وَهُوَ رِيَّاحُ بْنُ عَمْرٍو الْقَيْسِيُّ، الْمُتَخَشِّعُ الْبَكَاءِ، الْمُتَضَرِّعُ الدَّعَاءِ.

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/ ١٩٥). وَفِي (ش) وَ(ت): «اسْتَنَارَتْ قُلُوبُهُمْ».

فرايته كأنه ينقبض، فقلت: كأنك تكره أن تؤتى، قال: أجل، قلت: أو ما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني^(١).

وقال بكر المزني: من مثلك يا ابن آدم خلّي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت على الله عز وجل، ليس بينك وبينه ترجمان. خرّجه عبد الله بن الإمام أحمد^(٢).

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن شميطة بن عجلان قال: إن الله تعالى وسّم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطيعين^(٣) به^(٤).

وعن حبيب أبي محمد: أنه كان يخلو في بيته ثم يقول: من لم تقر عينه بك فلا قرّت، ومن لم يأنس بك فلا أنس^(٥).

وعن زكريّا بن عديّ قال: سمعتُ عابداً باليمن يقول: سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده عز وجل^(٦).

وعن أحمد بن أبي الحواريّ قال: حدّثني أبو عبد الرحمن الأزديّ قال: مررتُ برجلٍ بيروت مُدليّ الرّجلين في البحر يكبرُ فقلتُ له: يا شابُّ، ما لك جالسٌ وحدك؟ قال: اتّق الله ولا تقلّ إلا حقّاً، ما كنتُ قطُّ وحدي منذُ ولدتني أمي، إنّ معي ربّي عز وجل حيثُما كنتُ، ومعِي ملكان يحفظان عليّ، وشيطانٌ ما^(٧)

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢١٧/٨).

(٢) في زوائده على «الزهد» (١٧٥٢).

(٣) في حاشية (س): «المطيعين أو المنقطعين»، وفي (ب): «المنقطعين». وهو خطأ.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٣٠/٣) ولعل من ذكره غيره اقتبس من كلامه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٠٣).

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٤٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٤٤).

(٧) في (ب): «لا».

يُفَارِقُنِي، فَإِذَا عَرَضْتُ لِي حَاجَةٌ إِلَى رَبِّي سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا بِقَلْبِي فَجَاءَنِي بِهَا^(١).

وعن إبراهيم بن أدهم قال: اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبًا وَدَعَ النَّاسَ جَانِبًا^(٢).

وعن عبد الواحد بن زيد قال: كَانَ أَصْحَابُ غَزْوَانَ يَقُولُونَ لَهُ: مَا يَمْنَعُكَ
عَنْ مُجَالَسَةِ إِخْوَانِكَ؟ فَيَبْكِي وَيَقُولُ: إِنِّي أَصَبْتُ رَاحَةً قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ مَنْ لَدَيْهِ
حَاجَتِي^(٣).

وعن مسلم بن يسار قال: مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمَثَلِ الْخُلُوةِ بِمُتَاجَاةِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ^(٤).

وعن عبد العزيز^(٥) الرَّاسِبِيُّ، وَكَانَتْ رَابِعَةً تُسَمِّيهِ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَا
بَقِيَ مِمَّا تَلَذَّذُ بِهِ؟ قَالَ: سِرْدَابٌ أَخْلُو بِهِ فِيهِ^(٦).

وعن مسلم العابد قال: لَوْلَا الْجَمَاعَةُ - يَعْنِي الصَّلَاةَ فِي الْجَمْعِ - مَا خَرَجْتُ مِنْ
بَابِي أَبَدًا حَتَّى أَمُوتَ.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٩)، و«العزلة والانفراد» (١٥١)، وابن عساكر في «تاريخ
دمشق» (٦٧/٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧١)، وذكره أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٣/٧).
وأخرجه ابن منده في «مسند إبراهيم بن أدهم الزاهد» (ص: ٤٨)، وفيه قصة لإبراهيم مع أبي جعفر.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧٨).

(٤) أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمراثي» (٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية»
(٢/٢٩٤).

(٥) في (ب) و(س): «عبد العزيز بن سليمان».

(٦) في (س): «أخلو بربي»، وفي المصادر: «أخلو فيه». أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد»
(١٨٢) والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٦١).

وقال: ما يجدُ المُطيعُونَ لله لذةً في الدنيا أحلى من الخلوة بمُناجاة سيدهم، ولا أحسبُ لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إليه، ثم غشي عليه^(١).

وعن شعيب بن حرب قال: دخلتُ على مالك بن مغول وهو جالس في بيته وحده فقلت: ألا تستوحش؟ قال: ويستوحش مع الله أحد؟^(٢).

وعن يحيى بن سعيد قال: قال نصر بن يحيى بن أبي كثير وكان من الحكماء: لم نجد شيئاً أبلغ من الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في قلب العبد، ومن ثبت ذلك في قلبه آنسه بالوحدة، فأنس بها واستوحش من المخلوقين. فأول ما يهيج من حب الخلوة طلب العبد الإخلاص والصدق في جميع قوله وفعله، فيما بينه وبين ربه، ويهيج منها الزهد في معرفة الناس والأنس بالله تبارك وتعالى، ويهيج منها الوحشة من الناس والاستئصال لكلامهم^(٣)، والأنس بكلام رب العالمين^(٤).

ويروى عن إبراهيم بن أدهم قال: أعلی الدرجات أن تنقطع إلى ربك وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك، حتى لا تؤثر عليها شيئاً^(٥)، فإذا كنت

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٩٠)، لكن في المطبوع منه: «سلمة العابد». وفي (س): «من النظر إلى الله».

(٢) في (س): «أويستوحش»؟ أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرفائق والمراثي» (١٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٥٢)، والخطابي في «العزلة» (ص ١٦).

(٣) في (ش) و(ب): «بكلامهم».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٢٠٨) مطولاً، وما هنا مختصر.

(٥) في (س): «شيئاً عليه».

كذلك لم تُبالِ في برِّ كنتَ أو في بحرٍ، أو في سهلٍ أو في جبلٍ، وكان شوقك بقاء الحبيبِ شوقَ الظَّمانِ إلى الماءِ الباردِ، وشوقَ الجائعِ إلى الطَّعامِ الطَّيِّبِ، ويكونَ ذكرُ الله عزَّ وجلَّ عندَكَ أحلى من العسلِ، وأشهى من الماءِ العذبِ الصَّافي عند العطشانِ في اليومِ الصَّائفِ^(١).

وقال الفضيلُ: طُوبَى لِمَن استوحشَ من النَّاسِ، وكان الله أنيسَه^(٢).

وقال أبو سليمان: لا آنسني الله إلا به أبداً^(٣).

وقال رجلٌ لمعروفٍ الكرخي: أوصني، قال: توكلْ على الله حتَّى يكونَ جليستَكَ وأنيسَكَ، وموضعَ شكواكَ، وأكثرَ ذكرِ الموتِ حتَّى لا يكونَ لك جليسٌ غيره، واعلمَ أنَّ الشِّفاءَ لما نزلَ بكِ كِتمانُه، وأنَّ النَّاسَ لا ينفَعونَكَ ولا يضرُّونَكَ، ولا يُعطونَكَ ولا يمتنعونَكَ^(٤).

وقال سعيدُ بنُ عثمان: سمِعْتُ ذا النُّونِ يقولُ: من علامة^(٥) المُحبِّ لله تركُ كلِّ ما يشغله عن الله، حتَّى يكونَ الشُّغْلُ بالله وحده.

ثمَّ قال: إنَّ من علامة^(٦) المُحبِّينَ لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه.

(١) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/١٣٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/١٠٨).

(٣) أورده الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/١٠١ - ط دار المعرفة)، وذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/١٣٤)، وفي «شرح حديث: إن أغبط أوليائي».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوكل على الله» (٣٧).

(٥) في (س): «علامات».

(٦) في (س): «علامات».

ثُمَّ قَالَ: إِذَا سَكَنَ حُبُّ اللَّهِ الْقَلْبَ أَنْسَ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَجَلٌ فِي صُدُورِ الْعَارِفِينَ
مَنْ أَنْ يُحِبُّوا سِوَاهُ^(١).

وَكَانَتْ رَابِعَةً^(٢) تُشَدُّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي
فَالْجِسْمُ مَنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أَنْيْسِي^(٣)
وَرُؤْيَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ يُصَلِّي فِي مَكَانٍ وَحْدَهُ، فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: مَا مَعَكَ مُؤْنَسٌ؟
قَالَ: بَلَى، قِيلَ لَهُ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: أَمَامِي وَخَلْفِي وَمَعِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي
وَفَوْقِي، قِيلَ لَهُ: مَعَكَ زَادٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْإِخْلَاصُ، قِيلَ لَهُ: أَمَا تَسْتَوْحِشُ وَحْدَكَ^(٤)؟
قَالَ: إِنَّ الْأُنْسَ بِاللَّهِ قَطَعَ عَنِّي كُلَّ وَحْشَةٍ، حَتَّى لَوْ كُنْتُ بَيْنَ السَّبَاعِ مَا خِفْتُهَا^(٥).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٧٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/٤١٧).

(٢) في (س) وحدها: «رابعة العدوية».

(٣) أخرجه ابن المقرئ في «معجمه» (٧٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٨/٦٩). وعند ابن

المقرئ أنها العدوية، وعند ابن عساكر هي الشامية.

قال الذهبي رحمه الله تعالى في «سير أعلام النبلاء» (٨/٢٤٢ - ٢٤٣): «قال أبو سعيد بن الأعرابي:

أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما
قيل عنها، وقد تمثلت بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَنَسَبَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى الْحُلُولِ بِنِصْفِ الْبَيْتِ، وَإِلَى الْإِبَاحَةِ بِتَمَامِهِ.

قلت: فهذا غلو وجهل، ولعل من نسبها إلى ذلك مباحي حلولي، ليحتج بها على كفره، كاحتجاجهم
بخبر: «كنت سمعه الذي يسمع به».

(٤) في (س): «في وحدتك».

(٥) أخرجه ابن الجوزي في «آدم الهوى» (ص: ١٤١ - ١٤٢) والرائي هو إبراهيم بن المهلب السائح...

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: عَجِبْتُ لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَيْفَ يَعْيشُ مَعَ غَيْرِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] ^(١).

ولو اسْتَقْصَيْنَا مَا فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْأَثَارِ ^(٢) لَطَالَ الْكِتَابُ جَدًّا.

وَمَنْ الْأُنْسُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: الْأُنْسُ بِكَلَامِهِ وَذِكْرِهِ، وَالْأُنْسُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي بَلَغَهُ رَسُولُهُ ﷺ عَنْهُ.

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ذِي النُّونِ قَالَ: الْأُنْسُ بِاللَّهِ نُورٌ سَاطِعٌ، وَالْأُنْسُ بِالنَّاسِ ^(٣) غَمٌّ وَاقِعٌ، قِيلَ لَذِي النُّونِ: مَا الْأُنْسُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: الْعِلْمُ وَالْقُرْآنُ ^(٤).

وَمِنْ كَلَامِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ: كَفَى بِاللَّهِ مُحِبًّا، وَبِالْقُرْآنِ مُؤَنِّسًا، وَبِالْمَوْتِ وَاعِظًا، اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبًا، وَدَعَا النَّاسَ جَانِبًا ^(٥).

وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَأْنِسْ بِالْقُرْآنِ فَلَا آتَسَ اللَّهُ وَحِشَتَهُ ^(٦).

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ ذِكْرِهِ، وَعَلَامَةُ بُغْضِ اللَّهِ بُغْضُ ذِكْرِهِ»، مِنْ طَرِيقَيْنِ غَيْرِ صَحِيحَيْنِ ^(٧).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٠ / ٣٦٤)، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَوْلِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) (س): «مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ».

(٣) فِي (ب): «بِالْخَلْقِ».

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٩ / ٣٧٧).

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «مَعْجَمِهِ» (١٦٨٩)، وَالْخَطَّابِيُّ فِي «الْعَزَلَةِ» (ص: ١٨)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «الشَّعْبِ» (٤٤٩).

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْعَزَلَةِ وَالْإِنْفِرَادِ» (٥٤).

(٧) أَخْرَجَهُمَا ابْنُ بَيْهَقٍ فِي «شُعْبِ الْإِيمَانِ» (٤٠٦) وَذَكَرَ أَنَّ فِي الْإِسْنَادِ ضَعْفًا، وَأَنَّهُ رُوِيَ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ ضَعِيفٍ. وَأَحَدُ طَرِيقَيْهِ فِي «مَعْجَمِ ابْنِ الْمُقْرَى» (٩٤٤).

وكان فتح الموصلي يقول: المحب لله لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله عز وجل طرفه^(١). خرجه إبراهيم بن الجنيد^(٢).

وخرج أيضا بإسناده عن الربيع بن أنس، عن بعض أصحابه قال: علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئا إلا أكثرته ذكره، وعلامة الدين الإخلاص لله عز وجل، وعلامة العلم خشية الله عز وجل، وعلامة الشكر الرضا بقضاء الله عز وجل، والتسليم لقدره^(٣).

ومما ينشأ من معرفة الله عز وجل ومحبه الكيفاء به، والاستغناء به عن خلقه.

ومنه قول أحمد بن عاصم الأنطاكي: من عرف الله عز وجل اكتفى به، ومن لم يعرفه اكتفى بخلق دونه، فطال غمه وكثرت شكايته، ومن أحب الله لم يكن في قلبه فضل^(٤) لحب أحد، ولو أراد لم يترك^(٥).

ومنه قول أبي علي^(٦) الكاتب: إذا انقطع العبد إلى الله بالكليّة فأول ما يفيد الله الاستغناء به عن سواه^(٧).

(١) في (ب) و(س) زيد: «عين»، ولا توجد في (ش) و(ت)، ولا في «المحبة».

(٢) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٨).

(٣) في (س): «للقدر». وأخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٣٢).

(٤) في (ب) و(س): «فضلة».

(٥) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٣).

(٦) في (ش) و(ت) و(س): «قول علي بن» وهو غلط.

(٧) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»

ومنه قول بعض العارفين: مَنْ لَزِمَ الْبَابَ أَثْبِتَ فِي الْخَدَمِ، وَمَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ أَمِنَ مِنَ الْعَدَمِ^(١).

وفي بعض الإسرائيليات: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ابْنِ آدَمَ، اطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتِكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٢).

ولبعضهم:

لَقَدْ^(٣) كُنْتُ أَخْشَى الْفَقْرَ حَتَّى وَجَدْتُكُمْ فَصِرْتُ أَدُلُّ^(٤) الْمُفْلِسِينَ عَلَى الْكَثْرِ^(٥) وَأَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَشَّارٍ الزَّاهِدُ:

تَنْقُضِي الدُّنْيَا وَتَفْنِي	وَالْفَتَى فِيهَا مُعْنَى
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ	لَا وَلَا عَيْشٌ مُهَنَّأٌ
يَا غَنِيًّا بِالْذَّنَانِي	رِ مُجِبُّ اللَّهِ أَغْنَى ^(٦)

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠١ / ٦٦) من كلام أبي صالح الزاهد المتعبد الذي كان ينسب إليه مسجد خارج الباب الشرقي بدمشق، الذي نزل فيه المقداسة أولاً عند قدومهم دمشق، وانتقلوا منه إلى سفح قاسيون.

(٢) لم أجده إلا عند ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٢ / ٨)، وأكثر ابن القيم من ذكره في عدد من كتبه، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤٢ / ٤)، (٤٢٦ / ٧).

(٣) في (ب) و(س): «وكم».

(٤) في (ب): «أخشى».

(٥) في (س): «أدل المفلسين عليكم». والبيت ملحق في (ش) و(ب) وفي صلب (ت) و(س). ولم أجده لغير المصنف، ومنه نقله السفاريني في «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (٥٧٠ / ٣).

(٦) ذكره بسنده إلى ابن بشار: أبو موسى المديني في «اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف» (٣٩). وفي حاشية (س): «محب الله عنك أو منك أغنى».

فصل

وهمم العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله تعالى والنظر إلى وجهه في دار كرامته والقرب منه، وقد سبق قول مسلم العابد في ذلك.

وقال عبد الواحد بن زيد عن الحسن: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا^(١).

وفي رواية عنه قال: لذابت أنفسهم^(٢).

وقال إبراهيم الصائغ: ما يسرني^(٣) أن لي نصف الجنة بالرؤية، ثم تلا: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. خرجه ابن أبي حاتم^(٤).

وروى ابن منده بإسناده عن عبد الله بن وهب قال: لو خيّر بين دخول الجنة والنظر إلى ربي عز وجل لا اخترت النظر إليه سبحانه وتعالى^(٥).

وقال غزوان الرقاشي في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال: ما يسرني بحظي من المزيد الدنيا جميعها. خرجه الإمام أحمد رضي الله عنه^(٦).

وخرج أيضا بإسناده عن حبيب أبي محمد قال: لأن أكون في صحراء ليس عليّ إلا ظلة^(٧) وأنا جازل ربي عز وجل أحب إلي من جنتكم هذه^(٨).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية الأولياء» (٢/ ١٥٩).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٨٦) (١٠٧٢) (١١٣٣) والأجري في «الشرعية» (٥٧١).

(٣) في (س): «سرني».

(٤) وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٠٧).

(٥) أخرجه ابن منده في «التوحيد» (٩٠٠).

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (١١٤٩).

(٧) في (س): «ظلمة». تصحيف.

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٣) من طريق عبد الله بن الإمام أحمد عن هارون بن =

وقوله: «من جتتكم هذه»: توبخ لمن تعلق همته^(١) من العباد بأنواع نعيم الجنة المتعلق بالمخلوقات فيها مقتصرًا على ذلك، ولهذا كان أبو سليمان يقول: الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة، فما قيمة جناح بعوضة حتى يزهد فيها؟ إنما الزهد في الجنة وحور العين وكل نعيم خلقه الله ويخلقه حتى لا يرى الله في قلبك غيره^(٢). وكان يقول: أهل المعرفة دعاؤهم غير دعاء الناس، وهمهم من الآخرة غير همهم الناس^(٣).

وسئل عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى فبكى، وقال: مثلي يسأل عن هذا؟ أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى أن يطالع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره^(٤).

وقال: لو لم يكن لأهل المعرفة إلا هذه الآية الواحدة لاكتفوا بها: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] ^(٥).

معروف وسمعه عبد الله من أبيه عنه أيضاً، عن ضمرة، عن ابن شوذب، عن حبيب أبي محمد. = ولم أجده في «الزهد».

وهارون هو شيخ للإمام أحمد ولابنه عبد الله، ثقة، خير، من رجال الصحيحين. وضمرة بن ربيعة الرملي: ثقة. وعبد الله بن شوذب: ثقة. وحبيب هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي البصري من الزهاد المشهود لهم بالخير.

وهذا الكلام منه محمول على معنى صحيح ذكره المصنف رحمه الله تعالى. والمخاطب به هم أهل المجاهدة من العباد لا عامة الناس. فأما حمله على معانٍ باطلة ثم الإنكار على قائله وعلى ناقله؛ فهو إلى الاعتساف أقرب منه إلى الإنصاف.

(١) في (ب): «همه».

(٢) أخرجه الخطيب في «الزهد والرقائق» (٦٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٣/٣٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٦/٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٦/٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٤/٩).

وقال: أي شيء أراد أهل المعرفة؟ ما أرادوا كلهم إلا ما سأل موسى عليه السلام^(١).

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده، عن مسمع بن عاصم قال: اختلف العابدون عندنا في الولاية، فتكلموا في ذلك بكلام كثير^(٢)، واجتمعوا على أن يأتوا امرأة من بني عدي يقال لها أمة الجليل بنت عمرو، وكانت منقطعة جدًا من طول الاجتهاد، فأتوها فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا، فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا، ليس للولي المستحق في الدنيا من حاجة، ثم أقبلت على كلاب بن جري فقالت: من أخبرك أو حدثك أن وليه له هم غيرهم فلا تصدقه. قال مسمع: فما كنت أسمع إلا التصايح^(٣) من نواحي البيت^(٤).

وروى إبراهيم بن الجنيد، عن محمد بن الحسين قال: حدثني حكيم بن جعفر قال: قال ضيغم^(٥) لكلاب: إن حبه شغل قلوب مريديه عن التلذذ بمحبة غيره، فليس لهم مع حبه لذة تداني محبته، ولا يأملون^(٦) في الآخرة من كرامة الثواب أكثر^(٧) عندهم من النظر إلى وجهه، قال: فسقط كلاب عند ذلك مغشياً عليه^(٨).

وروى بإسناده عن عبد العزيز بن سليمان العابد أنه كان يقول في كلامه:

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٦٤)، يريد سؤاله: «قال رب أرني أنظر إليك».

(٢) في (س): «كلامًا كثيرًا».

(٣) في (ب) و(س): «التصارخ».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٧).

(٥) تصحف في (ش) إلى: «طعيم».

(٦) في (ش): «يؤملون»، وفي (س): «يكون».

(٧) في (س): «أكبر».

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٦٨)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٤١).

أَنْتَ أَيُّهَا الْمُحِبُّ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَبَّتَكَ لِلَّهِ تَحْقِيقٌ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ كَذَلِكَ لَصَاقَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى رِضَا حَبِيبِكَ وَإِلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ فِي دَارِ كِبْرِيَاءِهِ وَعِزِّهِ.

قَالَ: وَلَقَدْ كَانَ إِذَا أَخَذَ فِي هَذَا النَّعْتِ سَمِعَتْ التَّصَارِيخَ^(١) مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ^(٢).

وَقَالَ حَبِيبُ الْفَارَسِيِّ لِيَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقْرَأُ عَيُونَ الْعَابِدِينَ فِي الدُّنْيَا؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَقْرَأُ عَيُونُهُمْ فِي الْآخِرَةِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي تَقْرَأُ بِهِ عَيُونُهُمْ فِي الدُّنْيَا فَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَقْرَأَ لِعَيُونِ الْعَابِدِينَ مِنَ التَّهْجِدِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَأَمَّا الَّذِي تَقْرَأُ بِهِ عَيُونُهُمْ^(٣) فِي الْآخِرَةِ فَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَانِ وَسُرُورِهَا أَلَدَّ عِنْدَ الْعَابِدِينَ وَلَا أَقْرَأَ لِعَيُونِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى ذِي الْكِبْرِيَاءِ الْعَظِيمِ، إِذَا رُفِعَتْ تِلْكَ الْحُجُبُ وَتَجَلَّى لَهُمُ الْكَرِيمُ، فَصَاحَ حَبِيبٌ عِنْدَ ذَلِكَ صَيْحَةً وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ^(٤).

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْمُوفَّقِ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعْبُدُكَ خَوْفًا مِنْ نَارِكَ فَعَذِّبْنِي بِهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعْبُدُكَ شَوْقًا إِلَى جَنَّتِكَ فَاحْرِمْنِيهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَنَّمَا أَعْبُدُكَ حُبًّا مَنِّي لَكَ وَشَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فَأُبْخِنِيهِ وَاصْنَعْ بِي مَا شِئْتَ^(٥).

(١) فِي (ب) وَ(س): «التَّصَارِخُ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٤٩).

(٣) فِي (ب): «أَعْيَنُهُمْ»، وَفِي (س): «أَعْيَنَهُمْ بِهِ».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّهْجِدِ» (٣٥٠).

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي يَعْلَى فِي «طَبَقَاتِ الْحَنْبَلَةِ» فِي تَرْجُمَةِ عَلِيِّ بْنِ الْمُوفَّقِ (١/ ٢٣١ طَبْعَةُ الْفَقِيِّ). وَهُوَ

مِنْ حَالِ انْبِسَاطِهِ فِي الْحَجِّ، قَالَ الْمَصْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شرح حديث: لبيك اللهم لبيك»: «لَمَّا

غَلَبَ الشَّوْقُ عَلَى قُلُوبِ الْمُحِبِّينَ اسْتَرْوَحُوا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَمَا تَخْفِي صُدُورَهُمْ أَكْبَرُ».

وكانت رُقيّة الموصليّة تقول: إِنِّي لِأَحِبُّ رَبِّي حُبًّا شَدِيدًا، فلو أمرَ بي ^(١) إلى النارِ لَمَا وَجَدْتُ لِلنَّارِ حَرًّا مع حُبِّه، ولو أمرَ بي إلى الجنةِ لَمَا وَجَدْتُ لِلجنةِ لَذَّةً مع حُبِّه ^(٢)؛ لأنَّ حُبَّه هو الغالبُ عليَّ ^(٣).

وكانت تقول: إلهي وسيدي ومولاي، لو أَنَّكَ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابِكَ كُلِّهِ لَكَانَ مَا فَاتَنِي مِنْ قُرْبِكَ أَعْظَمَ عِنْدِي مِنَ الْعَذَابِ، ولو نَعَّمْتَنِي بِنَعِيمِ الجنةِ كُلِّهِ لَكَانَتْ لَذَّةُ حُبِّكَ فِي قَلْبِي أَكْثَرَ ^(٤).

ومن كلام ذي النُّون: مَا طَابَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا طَابَتِ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَلَا طَابَتِ الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَيْهِ ^(٥).

قال أحمدُ بنُ أبي الحواري: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ نَافِعًا وَكَانَ مِنْ عُبَادِ الْجَزِيرَةِ يَقُولُ: لَيْتَ رَبِّي جَعَلَ ثَوَابِي مِنْ عَمَلِي نَظْرَةً مِنِّي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لِي: يَا نَافِعُ كُنْ ثَرَابًا ^(٦).

وفي هذا المعنى يقول القائل:

وَحُرْمَةِ الْوُدِّ مَالِي عَنْكُمْ عَوَظٌ وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادَتِي غَرَضٌ
وَلَقَدْ شَرَطْتُ عَلَى قَوْمٍ صِحْبَتَهُمْ ^(٧) بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ وَرَضُوا ^(٨)

(١) في (ب): «بي ربي».

(٢) في (ش) و(ت): «محبه».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣٥٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣٥٨).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/٣٧٢).

(٦) لم أجده، وذكره المصنف مختصراً في «شرح حديث ليك اللهم ليك».

(٧) في (ب): «محبتهم»، وفي الحاشية: «لعله أحبهم».

(٨) في (ت): «فرضوا».

وَمِنْ حَدِيثِي بَكُمْ^(١) قَالُوا بِهِ مَرَضٌ
فَقُلْتُ: لَا زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْمَرَضُ^(٢)
وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ:

يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ مَا^(٣) لِي سِوَاكَ
أَنْتَ سُؤْلِي وَمُنِيِّ سُورِي
يَا مُرَادِي وَسَيِّدِي وَاعْتِمَادِي
لَيْسَ سُؤْلِي مِنَ الْجَنَانِ نَعِيمٌ
أَرْحَمِ الْيَوْمَ مُذْنِبًا قَدْ أَتَاكَ
قَدْ أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يُحِبَّ سِوَاكَ
طَالَ شَوْقِي مَتَى يَكُونُ لِقَاكَ
غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ^(٤)

(١) في (ش) و(ت): «بهم».

(٢) الأبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الشافعي الواسطي، المتوفى (٤٩٨هـ) رحمه الله، وهي مما يُتغنّى به، ذكرها العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٣١٦-٣١٧).

(٣) في (ب) و(ت) و(س): «من».

(٤) مما سمعه محمد بن المبارك الصوري من عيَّاس المجنون رحمه الله في جبل لبنان، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/١٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/٤٥٨). والقصة في «عقلاء

المجانين» لابن حبيب (٤٥٩).

وفي حاشية (ت): «بلغ».

الباب السابع

في سهر المحبين وخلوتهم^(١) بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين

قال الله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وأشرف الطمع طمع أهل المحبة في رؤية مولاهم وقربه وجواره.

وروى أبو نعيم بإسناده عن حسين بن زياد قال: أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال: يا حسين ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: كذب من ادعى محبتي إذا^(٢) جنه الليل نام عني، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه، ها أنا ذا مُطْلَعٌ على أحبابي، إذا جنهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة، وكلّموني على حضوري^(٣)، غدا أقر أعين أحبابي في جناني^(٤).

وروي من وجه آخر، وفيه: جعلت أبصارهم في قلوبهم، ومثلت نفسي بين أعينهم^(٥).

وروى أبو نعيم بإسناده عن أحمد بن أبي الحواري قال: دخلت على أبي سليمان فرأيت يكي، فقلت: ما يكيك؟ قال: ويحك يا أحمد، إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه افتش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على

(١) في (ش) و(ت): «وخلواتهم».

(٢) في (س): «فإذا».

(٣) وهذا أعلى مقامي الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، وانظر: «فتح الباري» للمصنف (١/ ٢١٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٩).

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٣٢).

خُدُودِهِمْ، أَشْرَفَ الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَالَ: بَعَيْنِي مَنْ تَلَذَّذَ بِكَلَامِي، وَاسْتَرَوَحَ إِلَى مُنَاجَاتِي، وَإِنِّي مُطَّلَعٌ عَلَيْهِمْ فِي خَلَوَاتِهِمْ أَسْمَعُ أُنِينَهُمْ، وَأَرَى بُكَاءَهُمْ وَحَنِينَهُمْ، يَا جَبْرِيلُ نَادِ فِيهِمْ: مَا هَذَا الْبُكَاءُ الَّذِي أَرَاهُ فِيكُمْ؟ هَلْ (١) خَبَّرَكُمْ مُخَبِّرٌ أَنَّ حَبِيبًا يُعَذِّبُ أَحِبَّاهُ بِالنَّارِ؟ بَلْ كَيْفَ يَجْمُلُ أَنْ أُعَذِّبَ قَوْمًا إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ تَمَلَّقُونِي؟ فَبِي حَلَفْتُ إِذَا وَرَدُّوا الْقِيَامَةَ عَلَيَّ أَنْ أُسْفِرَ لَهُمْ عَنْ وَجْهِ، وَأُمْنَحَهُمْ رِياضَ قُدْسِي (٢).

وَرُويَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَفِي أَوَّلِهَا زِيَادَةٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا يَقُولُ: كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مُحَبَّتِي فَإِذَا (٣) جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي، كَيْفَ يَنَامُ حَبِيبٌ (٤) عَنْ حَبِيبِهِ وَأَنَا الْمُطَّلَعُ عَلَيْهِ؟ إِذَا قَامُوا جَعَلْتُ أَبْصَارَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَكَلَّمُونِي عَلَى الْمُخَاطَبَةِ (٥). وَذَكَرَ الْبَاقِي بِمَعْنَى مَا تَقَدَّمَ مُخْتَصَرًا.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ عَنْ ذِي النُّونِ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ رَأَيْتَ أَحَدَهُمْ وَقَدْ قَامَ إِلَى صَلَاتِهِ وَقَرَأَتْهُ، فَلَمَّا وَقَفَ فِي مُحَرَابِهِ وَاسْتَفْتَحَ كَلَامَ سَيِّدِهِ خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَقَامَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ (٦) النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاخْلَعَ قَلْبُهُ، وَذَهَلَ

(١) فِي (س): «مَنْكُمْ، وَهَل».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٠/١٦) مَطْوَلًا، وَبَعْضُ الْأَلْفَاظِ هُنَا، لَا تَوْجِدُ ثَمَّةَ.

(٣) فِي (ش): «إِذَا».

(٤) فِي (ب): «مُحِب».

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٣٤/١٣٨).

(٦) فِي (ب) وَ(س): «يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ».

عقله، فقلوبهم في ملكوت السماوات مُعلّقة، وأبدانهم بين يدي الخالق عارية، وهمومهم بالفكر دائمة^(١).

وبإسناده عن ذي النون أيضًا أنه قال في وصفهم: يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام، فرحين في خلواتهم، لا تفتّر لهم جارحة في الخلوات، ولا يستريح لهم قدم تحت ستور الظلمات^(٢).

ومن طريق^(٣) إسحاق السلولي قال: حدّثني أم سعيد بن علقمة، وكانت طائفة، قالت: كان بيننا وبين داود الطائي جدارٌ قصيرٌ، فكنْتُ أسمعُ حنينه عامّة الليل لا يهدأ، ولربّما^(٤) سمعته يقول في جوف الليل: اللهم همك عطّل عليّ الهموم، وحالف بيني وبين الشهداء، وشوقي إلى النظر إليك وضع^(٥) مني اللذات والشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب، قالت: وربّما ترنّم في السحر بشيء من القرآن، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنّمه تلك الساعة، قالت: وكان يكون في الدار وحده، وكان لا يُصبح؛ أي: لا يُسرج^(٦).

وروى الحافظ أبو الفرج بإسناده عن الربيع قال: بتُّ أنا ومحمّد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالأبلّة، فقامت [أول^(٧) الليل، وهي تقول:

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣٩/٩). وفي حاشية (ت) عند قوله: «عارية»: «لعله قائمة».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٥/٩).

(٣) في (س): «طريق إلى».

(٤) في (ب): «وكثيرًا ما».

(٥) في (ب): «أو ثق». وفي «الحلية»: «منع».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٦/٧).

(٧) ما بين معقوفين من «صفة الصفوة» (٢٦٦/٢) ولا بد منه.

قَامَ الْمُحِبُّ إِلَى الْمُؤَمَّلِ قَوْمَةً كَادَ الْفُؤَادُ مِنَ الشَّرُورِ يَطِيرُ

فَلَمَّا كَانَ جَوْفُ اللَّيْلِ سَمِعْتُهَا تَقُولُ أَيْضًا:

لَا تَأْتَسَنَّ بَمَنْ تُوَحِّشُكَ نَظْرَتُهُ فَتُمْنَعَنَّ مِنَ التَّذْكَارِ فِي الظُّلَمِ
وَاجْهَدْ وَكِدَّ وَكُنْ فِي اللَّيْلِ ذَا شَجَنِ يَسْقِيكَ كَأْسَ وِدَادِ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ

قَالَ: ثُمَّ نَادَتْ: وَاحْزَنَاهُ! وَاسْلُبَاهُ! فَقُلْتُ: مِمَّ ذَا؟ فَقَالَتْ:

ذَهَبَ الظَّلَامُ بِأُنْسِهِ وَبِإِلْفِهِ لَيْتَ الظَّلَامَ بِأُنْسِهِ يَتَجَدَّدُ^(١)

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ قَالَ: كَانَتْ عَجُوزٌ
فِي عَبْدِ الْقَيْسِ مُتَعَبِّدَةً، فَكَانَ^(٢) إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ تَحَزَّمَتْ ثُمَّ قَامَتْ إِلَى الْمَحْرَابِ،
وَكَانَتْ تَقُولُ: الْمُحِبُّ لَا يَسْأَمُ مِنْ خِدْمَةِ حَبِيبِهِ^(٣).

وُسُئِلَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ عَنْ حَالِهِ، فَأَنْشَدَ:

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ لَمْ يَذَرْ كَيْفَ تَفَتَّتُ الْأَكْبَادِ^(٤)

وَرَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ قَالَ: قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ:
يُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ الْأَوْزَاعِيَّ وَشُفْيَانًا أَنَّهُ سُئِلَ: مَتَى تَقَعُ
الْفِرَاسَةُ عَلَى الْغَائِبِ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ مُحِبًّا لِمَا أَحَبَّ اللَّهُ مُبْغِضًا لِمَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَقَعَتْ
فِرَاسَتُهُ عَلَى الْغَائِبِ، فَقَالَ يَحْيَى:

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/٢٦٦).

(٢) فِي (س) وَحْدَهَا: «فَكَانَتْ».

(٣) لَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (١٢٩).

(٤) تَقْدِمُ فِي أَوَاخِرِ الْبَابِ الثَّالِثِ.

كُلُّ محبوبٍ سِوَى الله سَرَفٌ وَهُمُومٌ وَغُمُومٌ وَأَسَفٌ
كُلُّ محبوبٍ فَمِنْهُ خَلَفٌ مَا خَلَا الرَّحْمَنَ مَا مِنْهُ خَلَفٌ
إِنَّ لِلْحُبِّ دِلَالَاتٍ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْ صَاحِبِ الْحَبِّ عُرْفٌ
صَاحِبُ الْحَبِّ حَزِينٌ قَلْبُهُ دَائِمُ الْغُصَّةِ مَهْمُومٌ^(١) دَنِفٌ
هَمُّهُ فِي الله لَا فِي غَيْرِهِ ذَاهِبُ الْعَقْلِ وَبِاللهِ كَلِيفٌ
أَشَعْتُ الرَّأْسِ خَمِيصٌ بَطْنُهُ أَصْفَرُ الْوَجْنَةِ^(٢) وَالطَّرْفُ ذَرِفٌ
دَائِمُ التَّذْكِيرِ^(٣) مِنْ حُبِّ الَّذِي حُبُّهُ غَايَةُ غَايَاتِ الشَّرَفِ
فَإِذَا أَمَعَنَ فِي الْحَبِّ لَهُ وَعَلَاهُ الشَّوْقُ مِنْ دَاءٍ كَشَفِ
بَاشَرَ الْمُحْرَابَ يَشْكُو بَثُّهُ وَأَمَامَ الله مَوْلَاهُ وَقَفِ
قَائِمًا قَدَامَهُ مُنْتَصِبًا لِهَجًّا يَتْلُو بَايَاتِ الصُّحُفِ
رَاكِعًا طَوْرًا وَطَوْرًا سَاجِدًا بَاكِيًا وَالذَّمْعُ فِي الْأَرْضِ يَكِفِ
أُورِدَ الْقَلْبَ عَلَى الْحُبِّ^(٤) الَّذِي فِيهِ حُبُّ الله حَقًّا فَعَرَفِ
ثُمَّ جَالَتْ كُفُّهُ فِي شَجَرٍ يُنْبِتُ الْحَبَّ فَسَمَّى وَاقْتَطَفِ
إِنَّ ذَا الْحَبِّ لَمَنْ يُعْنَى بِهِ لَا بَدَارِ ذَاتِ لَهْوٍ وَطُرْفِ
لَا وَلَا الْفِرْدَوْسُ لَا يَأْلُفُهَا لَا وَلَا الْحَوْرَاءُ مِنْ فَوْقِ عُرْفِ^(٥)

(١) في حاشية (س): «مغموم». وفي «الزهد»: «محزون».

(٢) في حاشية (ش) و(س): «الغرة»، وفي حاشية (س): «الوجه».

(٣) في حاشية (س): «أو: للتذكير».

(٤) الحب: وعاء الماء.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٢٢). وأخرجه الختلي في «المحبة» (٢٣٧) من

وَرَوَى أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ بِإِسْنَادٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: أَنْشَدَنِي
بَعْضُ النَّاسِ:

وَقَوْمٌ تَخَلَّوْا لَمَوْلَاهُمْ ^(١)	تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدُنْيَاهُمْ
وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ أَغْنَاهُمْ	فَالزَمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ
وَطَاعَتِهِ طُولَ مَحْيَاهُمْ	فَمَا يَعْرِفُونَ سِوَى حُبِّهِ
وَعَيْنُ الْمُهَيَّمَنِ تَرَعَاهُمْ	يُصَفُّونَ بِاللَّيْلِ أَقْدَامَهُمْ
وَيَكُونُ طَوْرًا خَطَايَاهُمْ	فَطَوْرًا يُنَاجُوْنَهُ سُجَّدًا
أَذَابَ الْقُلُوبَ وَأَبْكَاهُمْ	إِذَا فَكَّرُوا فِي الَّذِي أَسْلَفُوا
وَبَاحُوا إِلَيْهِ بِشَكْوَاهُمْ	وَإِنْ يَسْكُنِ الْخَوْفُ لَأَذُوا بِهِ
تَبَارَكَ مَنْ هُوَ قَوَّاهُمْ	وَأَضْحَوْا صِيَامًا عَلَى جَهْدِهِمْ
لِصِدْقِ الْقُلُوبِ فَوَالَاهُمْ	هُمْ الْقَوْمُ أَعْطَوْا مَلِيكَ الْمُلُو
أَرَادُوا رِضَاهُ فَأَعْطَاهُمْ	هُمْ الْمُجْتَبُونَ بِنْيَاتِهِمْ
وَأَعْلَى الْمَنَازِلِ بَوَّاهُمْ	وَأَسْكَنَهُمْ فِي فَرَادَيْسِهِ
فَطُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَاهُمْ ^(٢)	فَنَالُوا الْمُرَادَ وَفَازُوا بِهِ

قَرَأْتُ بِخَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَابِرٍ السُّلَمِيِّ، أَنْشَدَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ الشَّهْرَزُورِيُّ لِبَعْضِهِمْ:

(١) في (ب): «بمولا هم».

(٢) ذكر البيتان الأولان في ترجمة أبي الوفاء القزويني من «التدوين في أخبار قزوين» (٤/ ٢٠١) من

إنشاده ولم أظفر برواية أبي موسى المديني.

قليلُ العزاءِ كثيرُ الندَمِ طويلُ النحيبِ على ما اجترَمَ
 جرى دَمْعُهُ فبَكَى جَفْنُهُ وصارَ البُكاءُ بَدَمْعٍ ودَمَ
 يخافُ البياتَ بهجمِ المماتِ وفقدَ الحياةَ بضُرِّ السَّقَمِ
 ويُخْفِي محبَّةَ رَبِّ العُلَى فتُظْهِرُ أنفاسُهُ ما كَتَمَ^(١)
 وأسبَلَ من طَرْفِهِ عِبْرَةً على الصَّخْنِ من خَدِّهِ فانسَجَمَ
 وبياتَ محاربٍ^(٢) محرابه ولَمَّا تَنَزَّلَ^(٣) قَدَمٌ عن قَدَمِ
 فَلَمَّا تَفَتَّتَ^(٤) أحشاؤُهُ من الشَّوْقِ رَقَّ عليه الأَلَمُ
 وگَمَ ليلةٍ رامَ فيها المنامَ فصاحَ به حُبُّهُ لا تَنَمَ
 وناحَ على جَسَدٍ ناجِلٍ أطالَ التَّحوُّلَ به فانهَدَمَ
 أنابَ إلى الله مُسْتَغْفِرًا وصارَ له من أعزِّ الخَدَمِ^(٥)

(١) في (س): «ما اكتم».

(٢) في (ب): «يحارب».

(٣) في (ش) و(ت): «يزل».

(٤) وتصحفت في (ش) و(ب).

(٥) في هامش (س): «بلغ». وعبد الله بن أحمد بن علي بن صابر السلمي، توفي سنة (٤٩٣) رحمه الله،

وتوفي الشهرزوري سنة (٤٩٤) رحمه الله. ولم أجد هذه الأبيات في مصدر آخر.

الباب الثامن

في ذكر شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين

الشَّوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ درجةٌ عاليةٌ رفيعةٌ تنشأُ من قوَّةِ محبةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يسألُ اللَّهَ هذه الدَّرجةَ.

خَرَجَ الإمامُ أحمدُ وابنُ حَبَّانَ في «صحيحه» والحاكمُ من حديثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَا، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي^(١) غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(٢).

وخرَّجَ الطَّبْرَانِيُّ نحوه من حديثِ فضالة بن عبيدٍ، عن النَّبِيِّ ﷺ^(٣).

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والحاكمُ عن زيد بن ثابتٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ علَّمَهُ دُعَاءً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَفِيهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَا»^(٤)، وَبَرْدَ الْعَيْشِ

(١) في (ش) و(ت): «من».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، وابن حبان (١٩٧١)، والحاكم في «المستدرک» (٥٢٤ / ١) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) في «الأوسط» (٦٠٩١)، وفي «الكبير» ١٨ (٨٢٥).

(٤) في (ش) و(ب) و(ت): «الرضا بالقدر»، والمثبت من (س) هو الموافق للمصادر.

بعد الموت، ولذة النظر في وجهك، وشوقاً إلى لقاءك، من غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مُضلة»^(١).

وإنما قال: «من غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مُضلة» والله أعلم؛ لأن محبة لقاء الله وهو محبة الموت تصدر غالباً إما عن ضراء مُضرة، وهي ضراء الدنيا، وقد نُهي عن تمنّي الموت حينئذ، وإما عن فتنة مُضلة، وهي خشية الفتنة في الدين، وهو غير منهّي عنه في هذه الحال، والمسؤول هاهنا الشوق إلى لقاء الله الناشئ عن غير هذين الأمرين، بل عن محض المحبة.

وقد دلّ قوله تعالى في حق اليهود: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤] على أن من كان على حالة حسنة من الاستعداد للقاء الله فإنه يتمنى لقاء الله ويحبّه، وأنه لا يكره ذلك إلا من هو مريب في أمره، ولهذا قال: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ثم قال: ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦] فذمهم على حرصهم على الحياة في الدنيا.

وفي «مُسند الإمام أحمد»، عن النبي ﷺ قال: «لا يتمنى^(٢) الموت إلا من وثق بعمله»^(٣).

وقد كان كثير من السلف الصالح يتمنون الموت شوقاً إلى لقاء الله عز وجل.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٦٦٦)، والحاكم (٥١٦/١) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) في (س): «يتمنين».

(٣) أخرجه باطول من هذا الإمام أحمد (٨٦٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان أبو الدرداء يقول: أُحِبُّ الموتَ اشتياقًا إلى ربِّي، وأُحِبُّ الفقرَ تواضعًا لربِّي، وأُحِبُّ المَرَضَ تكفيرًا لخطيئتي^(١).

وقال محمد بن زياد: اجتمع رجال من الأخيار، أو قال من العلماء والعُباد، وذكرُوا الموتَ، فقال بعضهم: لو أنه أتاني آتٍ، أو ملك الموت فقال: أيُّكم سبق إلى هذا العمود فوضع عليه يده^(٢) لَمَاتَ لَرَجَوْتُ أَنْ لا يسبقني إليه أحدٌ منكم شوقًا إلى لقاء الله عز وجل^(٣).

وقال عبد الله بن زكريا: لو خُيرْتُ بين أن أُعَمَّرَ^(٤) مائة سنة^(٥) في طاعة الله أو أن أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعتِي هذه؛ لاخترْتُ أن أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعتِي هذه؛ شوقًا إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الصالحين من عباده^(٦).

وكان أبو عبد رب الزاهد يقول: لو أنه قيل: مَنْ مَسَّ هذا العمود مات^(٧) لسرَّني أن أقومَ إليه شوقًا إلى^(٨) الله ورسوله^(٩).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٢١٧).

(٢) في (ب) و(س): «يده عليه».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/١١٢).

(٤) في (س): «أعيش».

(٥) في (ش) و(ت): «مئة سنة من ذي قبل».

(٦) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله هنا.

(٧) في (ش) و(ت) و(س): «لمات».

(٨) في (ب) و(س): «إلى لقاء».

(٩) أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/١٨٨ طبعة العراق). وأبو زرعة الدمشقي في

«تاريخه» (ص: ٣٤٩)، وغيرهم.

وقال أبو عنبه الخولاني: كان إخوانكم لقاء الله أحب إليهم من الشَّهيد^(١).

قال سُفيان: كان بالكوفة رجلٌ مُتعبٌ من همدان، فكان يقول: ما تطيب نفسي للموت بالموت إلا إذا ذكرتُ لقاء الله عزَّ وجلَّ، فإني أجد نفسي عند ذلك تطيبُ بالموت لما ترجو في لقاء الله عزَّ وجلَّ من البركة والسُّرور^(٢).

قال: وذكرُوا عنه أنه كان يقول: إذا ذكرتُ القدومَ على الله كنتُ أشدَّ اشتياقًا إلى الموت من الظَّمانِ الشَّدِيدِ ظمؤه، في اليومِ الحارِّ الشَّدِيدِ حرُّه، إلى الشَّرابِ الباردِ الشَّدِيدِ برده^(٣).

وقال رياحُ القيسي: أتيتُ الأبردَ بنَ ضرارٍ فقال لي: يا رياحُ، هل طالت بك الليالي والأيام؟ قلتُ^(٤) له: بيم؟ قال: بالشَّوقِ إلى لقاء الله، قال: فسكتُ، وأتيتُ رابعةً فذكرتُ ذلك لها، قال: فسمعتُ تخريقَ قميصها من وراء ثوبها وهي تقول: لكنِّي نعم^(٥).

وقال عبيدُ الله^(٦) بنُ محمَّدِ التَّيمي: سمعتُ امرأةً من المُتعبِّداتِ تقول: والله لقد سيَّمتُ من الحياة، حتَّى لو وجَّدتُ الموتَ يُباعُ لا شترتُه شوقًا إلى الله^(٧)، وحبًّا

(١) تصحف في نسخنا (عنبه) إلى (عنبه). وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٢٤) وفي «الجهاد» (١٢٨).

(٢) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله هنا.

(٣) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وذكره أيضاً في «شرح حديث ليك»، وفي «لطائف المعارف» (ص: ٥١١).

(٤) في (س): «فقلت».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩٣/٦) مطولاً.

(٦) في (ش) و(ت): «عبد الله».

(٧) في (س): «لقاء الله».

لللقاء، قال: فقلتُ لها: أفعلى ثقة أنتِ من عمليكِ؟ قالت: لا، ولكن لحبيبي إياه، وحسن ظني به، أفتراه يُعذِّبني وأنا أُحِبُّه^(١)؟!

وقال سلمة العوصي: إنني لمُشتاقٌ إلى الموتِ منذُ أربعين سنةً، منذُ فارقْتُ الحسن بن صالح، قيل له: ولم؟ قال: لو لم يشتقِ العاقلُ^(٢) إلا إلى لقاءه عزَّ وجلَّ لكان ينبغي له أن يشتاق^(٣).

وكان أبو عبد الله النُّبَاجِيُّ يقولُ في مُناجاة: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي^(٤) لو خيَّرتني بين أن تكونَ لي الدنيا منذُ خُلِقْتُ أتنعمُ فيها حلالاً، ولا أسألُ عنها يومَ القيامةِ، وبين أن تخرجَ نفسي الساعةَ، لا خترتُ أن تخرجَ نفسي الساعةَ، ثمَّ قال: أما^(٥) تُحِبُّ أن تلقى مَنْ تُطِيعُ^(٦)؟ وصحبَ رجلُ الفتح بن شُخْرَفَ ثلاثين سنةً، قال: فلم أره رفعَ رأسه إلى السماءِ إلا مرةً^(٧)، رفعَ رأسه، وفتحَ عينيه^(٨)، ونظرَ إلى السماءِ، ثمَّ قال: قد طال شوقي إليك، فعجَّلْ قُدومي عليك^(٩).

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» (في آخر كتاب المحبة) (٤/ ٣٦١).

(٢) في (ب) و(س): «العامل».

(٣) أخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (١١/ ٢٩٧) بسنده إليه.

(٤) في (ب) و(س): «أنتك».

(٥) في (س): «ألا».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المتمين» (٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣١١)، وفي مطبوعتيهما:

«الساجي» تصحيفاً من «النُّبَاجِي» ١ وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ١٩ - ٢٠).

(٧) في (س): «مرة واحدة».

(٨) في (ب): «عينه».

(٩) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥١١).

وقال فتح الموصلي في يوم عيد أضحى: قد تقرب المتقربون بقربانهم، وأنا أتقرب إليك بطول حُزني، يا محبوب، كم تتركني في أزقة الدنيا محزونًا؟ ثم غشي عليه، وحمل فدفن بعد ثلاث، رحمه الله^(١).

فهذا حال من غلب عليه الشوق والرجاء، فأما من غلب عليه الخوف فإنه بخلاف ذلك، ولا يتمنى الموت، بل يستعظمه حتى يكاد يتصدع قلبه من ذكره.

وقال المؤلف رحمه الله: وقد نازع أبو سليمان الداراني من كان يتمنى الموت شوقًا^(٢) إلى لقاء الله، وخالفهم في ذلك، وقال: لو أعلم أن الأمر كما تقولون لأحييت أن نفسي تخرج الساعة، ولكن كيف بانقطاع الطاعة والحبس في البرزخ، وإنما نلقاه بعد البعث.

قال أحمد بن أبي الحواري: فهو في الدنيا أحرى أن يلقاه؛ يعني بالذكر.

فأبو سليمان وصاحبه أحمد بن أبي الحواري رحمهما الله تعالى يقولان: ما يجد^(٣) العارفون المحبون في الدنيا من حلاوة الطاعة ولذة المعاملة واستنارة القلوب وتقرّبها^(٤) من علام الغيوب أكمل مما يحصل لهم في البرزخ قبل البعث؛ فإنه لا يمكن رؤية الله تعالى بالأبصار إلا في يوم القيامة، وقد جاء في حديث: «إن يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجل»^(٥).

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» (ص: ٢٢٢)، وهو في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٥٦).

(٢) في (ب): «خوفًا».

(٣) في (ب) و(س): «يجده».

(٤) في (ب) و(س): «وتقرّبها».

(٥) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٧٥)، وابن النحاس في «رؤية الله» (١١)، وابن الدقاق في

«مجلس في الرؤية» (٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧٢/ ١٢). ومداره على أحمد بن يحيى بن =

وَأَمَّا الْأَوَّلُونَ^(١) فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: قَدْ يَحْصُلُ لِلْمُحِبِّينَ^(٢) فِي
الْبَرْزَخِ اتِّصَالٌ وَقُرْبٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرُؤْيَا الْأَرْوَاحِ^(٣)، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَكْمَلَ
مِنَ الْحَاصِلِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْعَمَلِ، كَمَا أَنَّ نَعِيمَ الْبَرْزَخِ بِالْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَكْمَلُ
مِنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا أَيْضًا.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا»^(٤)، وَهَذَا يَدُلُّ
بِمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَحْصُلُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ الْأَحْلَامِيَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ،
وَاتَّفَقَ^(٥) الْعَارِفُونَ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ مَا يَحْصُلُ بَعْدَ الْبَعْثِ لِلْعَارِفِينَ الْمُحِبِّينَ أَكْمَلُ
مِمَّا يَحْصُلُ لِقُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ غَايَةَ الْحَاصِلِ لِلْقُلُوبِ فِي الدُّنْيَا هُوَ تَجَلِّي أَنْوَارِ
الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ حَتَّى يَصِيرَ الْغَيْبُ كَأَنَّهُ شَهَادَةٌ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ وَالْقُلُوبَ تُكَافِحُ ذَاتَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا
عَيَانًا فَهُوَ غَالِطٌ، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَثْبُتْ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلنَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، كَمَا ذَكَرَهُ
الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

= خَالِدُ بْنُ حَيَّانَ الرَّقِّيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَهُوَ ضَيْقُ الْمَخْرَجِ جَدًّا، وَالتَّفَرُّدُ
فِيهِ نَازِلٌ، وَفِي مَخْرَجِهِ ضَعْفٌ.

(١) فِي (س): «الْأَكْثَرُونَ». وَقَدْ كُتِبَتْ أَوَّلًا فِي (ش)، ثُمَّ ضُرِبَ عَلَيْهَا: وَكُتِبَ: الْأَوَّلُونَ وَصُحِّحَ عَلَيْهَا.

(٢) فِي حَاشِيَةِ (ش): لَفْظَةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى نَسْخَةٍ، وَلَعَلَّهَا: «الْمُخْبِتِينَ».

(٣) فِي (س): «وَرُؤْيَا لِلْأَرْوَاحِ».

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٧٧١٦) مِنْ حَدِيثِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ بِنَحْوِ هَذَا اللَّفْظِ.

(٥) فِي (س): «وَقَدْ اتَّفَقَ».

وصنّف بعضهم مُصنِّفاً سمّاه: «تفضيل العبادات على نعيم الجنّات»^(١)، وأشار إلى أنّ العبادات^(٢) حقُّ الرّبِّ، وأنَّ النّعيمَ حظُّ النّفسِ، وكأنّه ظنَّ أنّ لا نعيمَ في الجنّة إلا التّمتّعُ بالمخلوقاتِ فيها، وهو غلطٌ عظيمٌ، فإنَّ أعلى نعيمِ الجنّةِ ما يحصلُ فيها من معرفةِ الله سبحانه ومُشاهدته، فإنَّ علمَ اليقينِ يصيرُ هناكَ عينَ اليقينِ، وتتجدّدُ معرفةٌ عظيمةٌ لم تكنْ موجودةً قبلَ ذاكَ، بل ولم تخطرْ على قلبِ بشرٍ قطُّ.

وكذلك توحيدُ أهلِ الجنّةِ ودوامُ ذِكْرِهِم هو من أكملِ لذّاتهم، ولذلك يُلهَمُونَ التّسبيحَ كما يُلهَمُونَ النّفسَ^(٣).

قال ابنُ عُيَيْنَةَ: «لا إلهَ إلا الله» لأهلِ الجنّةِ كالماءِ الباردِ لأهلِ الدُّنيا^(٤). وكذلك ترنّمُهُم بالقرآنِ وسَماعُهُم له^(٥)، وأعلاه سَماعُهُ من الله عزَّ وجلَّ، فأين هذا من تلاوةِ أهلِ الدُّنيا وذِكْرِهِم؟ وأمّا سائرُ العباداتِ فما كانَ منها فيه مشقّةٌ على الأبدانِ فإنَّ أهلَ الجنّةِ قد أُسْقِطَ ذلكَ عنهم، وكذلك ما فيه نوعٌ ذلٍّ وخُضوعٍ كالسُّجودِ ونحوه.

وأمّا ما في العباداتِ من النّعيمِ الحاصلِ بها لأهلِ المعرفةِ في الدُّنيا فإنّه يحصلُ

(١) هو العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة (٥١٣هـ) رحمه الله تعالى. ولا

أعلم لهذا الكتاب وجوداً اليوم.

(٢) في (س): «العبادة».

(٣) كما في «صحيح مسلم» (٢٨٣٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٨٢/٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٨١). وعندهم: «لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

(٥) في (ب): «وسماعه».

لهم في الجنة أضعافاً مع راحة الجسد من مشقة التكاليف^(١) التي في الدنيا، فتجتمع لهم راحة القلب والبدن على أكمل الوجوه، وهذا مثل الصلاة، فإن العارفين في الدنيا إنما يتنعمون بما فيها من المناجاة وآثار القرب، وما يرد عليهم من الواردات^(٢) في تلاوة الكتاب، ونحو ذلك من نعيم القلوب^(٣)، وربما يستغرقون به عن الشعور بتعب الأبدان، فهذا القدر الذي حصل لهم به النعيم^(٤) في الدنيا يتزايد في الجنة بلا ريب لا سيما في أوقات الصلوات، فإن أكملهم من ينظر إلى وجه الله عز وجل كل يوم مرتين بكرة وعشيّاً في وقت صلاة الصبح وصلاة العصر كما جاء في حديث ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً^(٥).

والى ذلك أشار النبي ﷺ بالمحافظة على هاتين الصلاتين عقيب ذكره رؤيته الرب سبحانه وتعالى في حديث جرير البجلي^(٦).

فالنعم الحاصل لأهل الجنة بالرؤية والمخاطبة في هذين الوقتين أكمل مما كان حاصلاً لهم في الدنيا، وكذلك صلاة الجمعة؛ فإنهم يجتمعون في وقتها في يوم المزيد، ويتجلى لهم سبحانه ويحاضرون محاضرة، وكذلك في العيدين، فهذا

(١) في (س): «التكليف».

(٢) في (ش) و(ت): «الموارد».

(٣) في (ش) و(ت): «القلب».

(٤) في (ت) و(س): «التنعم».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤٦٢٣) من حديث ابن عمر مرفوعاً: «وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين»، وعند الترمذي (٢٥٥٣): «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»... وذكر الترمذي من رواه عن ابن عمر موقوفاً.

(٦) في قوله ﷺ: «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا...» أخرجه البخاري (٥٥٤) (٥٧٣) (٤٨٥١) (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

أَكْمَلُ مِمَّا يَحْصُلُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي صَلَاتِهِمْ^(١) مِنْ آثَارِ الْقُرْبِ وَحَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ
مَعَ^(٢) رَاحَةِ الْبَدَنِ وَنَعِيمِهِ أَيْضًا.

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ أَكْمَلُ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا مُطْلَقًا، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ نَعِيمُ
الْأَبْدَانِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَنَعِيمُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ بِالْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ
وَالْقُرْبِ وَالْإِتِّصَالِ وَالْأَنْسِ وَالْمُشَاهَدَةِ.

وظَهَرَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩، القصص: ٢٨]
هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَأْوِيلٍ وَلَا تَكْلُفٍ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ
فَسَّرُوا الْحَسَنَةَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَالْجَزَاءَ عَلَيْهَا بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَشْكَلُوا تَفْضِيلَ الْجَنَّةِ
عَلَى التَّوْحِيدِ^(٣).

وَبِمَا ذَكَرْنَاهُ يَزُولُ الْإِشْكَالُ، وَيَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ أَكْمَلُ مِنَ
التَّوْحِيدِ الَّذِي فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ جَزَاءٌ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْمَعْرِفَةُ وَالْمَحَبَّةُ وَالشَّوْقُ أَيْضًا،
فَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ أَحَادِيثِ يَوْمِ الْمَزِيدِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا إِلَى شَيْءٍ أَشَوْقَ مِنْهُمْ إِلَى
يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٤).

وَشَبِيهٌ بِهَذَا: الْغَلْطُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْعَارِفِينَ لَا يَشْتَاقُونَ
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا؛ لَأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ حَاضِرًا، وَتُبَاشِرُ قُلُوبُهُمْ أَنْوَارَهُ،
وَيَتَجَلَّى لَهَا فَيَسْتَأْنِسُونَ بِهِ، وَيَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ.

(١) فِي حَاشِيَةِ (ش) وَ(ت): «خَلَوَاتِهِمْ».

(٢) فِي (ب): «مِنْ».

(٣) يَنْظُرُ: تَفْسِيرُ «مِفْتَاحِ الْغَيْبِ»، فَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْإِشْكَالَ، وَالْجَوَابَ عَلَيْهِ.

(٤) كَمَا فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ (٧٥٢٧)، وَأَبُو يَعْلَى (٤٢٢٨)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»

(٢٠٨٤) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ عَنْهُ.

وهذا وإن كان قد نُقِلَ عن بعضِ السَّلَفِ الْمُتَقَدِّمِينَ فهو أيضًا غلطٌ، ولعلَّه صدرَ من قائله في حالِ استغراقه في مُشاهدةٍ ما شاهده فظنَّ أنَّه ليس وراءَ ذلك مطلبٌ، وهذا كما قال بعضهم: إِنَّهُ تَمَرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ مَا أَنَا فِيهِ إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ^(١).

ومعلومٌ أنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي أَضْعَافٍ^(٢) مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَعْظَمَ^(٣) مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ النَّعِيمِ فَظَنَّ^(٤) أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ، وَعِنْدَ التَّحْقِيقِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَا حَصَلَ فِي الدُّنْيَا لِلْقُلُوبِ مِنْ تَجَلِّيِ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ مَا يَحْصُلُ فِي الْجَنَّةِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ فَيَتَزَايَدُ بِذَلِكَ الشَّوْقُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، وَلِهَذَا^(٥) كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِهِ^(٦)، مَعَ أَنَّهُ أَكْمَلَ الْخَلْقِ مُشَاهِدَةً وَمَعْرِفَةً، وَكَانَ يَقُولُ فِي الْوِصَالِ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَظُلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»^(٧)، وَيُشِيرُ إِلَى مَا يَتَجَلَّى لِقَلْبِهِ مِنْ آثَارِ الْقُرْبِ وَالْأَنْسِ مِمَّا يُقَوِّيه وَيُغْذِيهِ وَيُغْنِيهِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

(١) أصل الكلام لعابد من أهل طرسوس، وهو أبو سليمان المغربي كما ذكر ذلك ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٢٣/٢) طبعة دار الحديث، وهذا اللفظ الذي هنا أورده ابن تيمية رحمه الله في كلامه، كما في «مجموع الفتاوى» (٦٤٧/١٠)، لكن ابن كثير رحمه الله ذكره في «البداية والنهاية» (سنة ٢٠٥) في ترجمة أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى، ونسبه إليه.

(٢) في (ت) و(س): «أضعاف أضعاف».

(٣) في (ب) و(س): «لما استعظم».

(٤) في (س): «ظن».

(٥) في حاشية (س): «ولقد».

(٦) كما في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي تقدم في أول الباب الثامن.

(٧) كما في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (٧٢٤١)، ومسلم (١١٠٤).

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب^(١) وتلهيها عن الزاد^(٢)
ولم يزل أئمة العارفين يثبتون^(٣) الشوق، ويخبرون به عن أنفسهم.
قال عبد الواحد بن زيد^(٤): يا إخوانه، ألا تبكون شوقاً إلى الله جلّ وعزّ؟ ألا إنّه
من بكى شوقاً إلى سيّده لم يحرمه النظر إليه^(٥).

وقال صالح المري: بلغني عن كعب أنّه كان يقول: من بكى اشتياقاً إلى الله جلّ
وعزّ أباحه النظر إليه تبارك وتعالى^(٦).

قال حبيب بن عبيد: كان دليجة إذا مشى طاشت قدماه من العبادة، فقل له:
ما شأنك؟ قال: الشوق، فقل له: أبشر فإنّ الأمير قد بعث إلى سرح المسلمين ليأذن
لهم، فيقول: ليس شوقي إلى ذلك، إنّ شوقي إلى من يحثّها^(٧).

قال عثمان بن صخر العتكي: طوبى لمحبّي الرّبّ عزّ وجلّ، الذين عبدوه
بالفرح والسّرور، والأنس والطّمأنينة، فصاروا الصّفوة من الخلق، والخاصّة من
البريّة، يحثّون إليه حنين الولهان، ويشتاقون إليه شوق من لا صبر لهم عنه، قد
كسروا بالخوف، ورؤّحوا بالظفر^(٨).

(١) في (ش) و(ت): «الطعام» وفي المصادر: «الرتوع».

(٢) البيت لإدريس بن أبي حفصة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية في «ديوان المعاني» لأبي
هلال العسكري (٦٣/١)، «الحماسة البصرية» (١٥٧/١).

(٣) كذا في النسخ، لكن لعله: «يثبتون».

(٤) في (ش): «زياد» وهو خطأ.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقّة والبكاء» (٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٠/٦).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقّة والبكاء» (٢٠).

(٧) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٣٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠٢/٦).

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (٦١).

وكان أبو عبدة الخواص يمشي في الأسواق ويضرب على صدره ويقول:
واشوقاهُ إلى مَنْ يراني ولا أراه^(١).

وكانت امرأة من العابدات^(٢) بمكة لا تزال تصرخ وتقول: أليس عجباً^(٣) أن
أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ
حتى أصير إلى الطبيب الذي بيده^(٤) برء دائي وشفائي^(٥)؟!؟

وقال ذو النون: إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكَمَ إيمانه خاف الله، فإذا خاف الله
تولدت من الخوف هبة الله، فإذا سكنَ درجة الهبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع
تولدت من الطاعة الرجاء، فإذا سكنَ درجة الرجاء تولدت من الرجاء المحبة، فإذا
استحكمت معاني المحبة في قلبه سكنَ بعدها درجة الشوق، فإذا اشتاق أذاه الشوق
إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله، فإذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم،
ونهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلايته في نعيم. انتهى^(٦).

ولا ريب أن الشوق يقتضي القلق، لكن قد يمنح الله بعض أهله ما يسكن قلقهم
من الأنس به، والطمأنينة إليه، كما أشار ذو النون إليه رحمه الله.

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: قلت يوماً: اللهم إن كنت أعطيت أحداً

(١) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٥٨)، وذكره ابن الجوزي في «المدحش» (ص: ٤٠٧).

(٢) في (س): «المتعبدات».

(٣) في (ب): «عجياً».

(٤) في (س): «عنده».

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٥١).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٥٩).

مَنْ الْمُحِبِّينَ لَكَ مَا سَكَنْتَ^(١) بِهِ قُلُوبَهُمْ قَبْلَ لِقَائِكَ فَأَعْطِنِي ذَلِكَ، فَلَقَدْ أَضَرَّ بِي الْقَلْقُ، قَالَ: فَرَأَيْتَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي النَّوْمِ، فَوَقَّفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَمَّا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي تَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ قَبْلَ لِقَائِي؟ وَهَلْ يَسْكُنُ قَلْبُ الْمُشْتَاقِ إِلَى غَيْرِ حَبِيبِهِ؟ أَمْ هَلْ يَسْتَرِيحُ الْمُحِبُّ إِلَى غَيْرِ مَنْ اشْتَاقَ^(٢) إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَبِّ تَهْتُ فِي حَبْلِكَ فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ^(٣).

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَائِلًا يَقُولُ: مَنْ يَحْضُرُ؟ مَنْ يَحْضُرُ؟ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: أَمَا تَرَى الْقَائِمَ الَّذِي يَخْطُبُ النَّاسَ وَيُخْبِرُهُمْ عَنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ؟ فَأَدْرِكُ^(٤) فَلَعَلَّكَ تَلْحَقُهُ وَتَسْمَعُ كَلَامَهُ قَبْلَ انْصِرَافِهِ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

مَا نَالَ عَبْدٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنَزَلَةً أَعْلَى مِنَ الشَّوْقِ إِنَّ الشَّوْقَ مَحْمُودٌ

ثُمَّ سَلَّمَ وَنَزَلَ، فَقُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَانِبِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَمَا تَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هَذَا دَاوُدُ الطَّائِيُّ، فَعَجِبْتُ فِي مَنَامِي مِنْهُ، فَقَالَ: أَتَعْجَبُ مِمَّا رَأَيْتَ؟ وَاللَّهِ لِلَّذِي^(٥) عِنْدَ اللَّهِ لِدَاوُدَ مِنَ الزُّلْفَى أَكْثَرُ مِنْ هَذَا وَأَكْثَرُ^(٦).

(١) فِي (س): «أَسَكَنْتَ».

(٢) فِي (ب): «يَشْتَاقُ».

(٣) ذَكَرَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي «قُوتِ الْقُلُوبِ» (٢/ ١٠٠)، وَأَخْرَجَهُ السَّرَاجُ الْقَارِي فِي «مَصَارِعِ الْعِشَاقِ» (١/ ٢٧٨).

(٤) فِي (س): «فَادْرِكُهُ».

(٥) فِي (ب): «الَّذِي»، وَفِي (ش): «إِنَّ الَّذِي».

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٧/ ٣٦٠).

ومما قيل في وصفِ المُشتاقين:

أَنْ^(١) مَنْ الشَّوْقِ فَلَوْلَا دَمْعُهُ
أَحْرَقَ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَالنَّقَا
وَاسْتَعَرَتْ أَنْفَاسُهُ وَإِنَّمَا
تَلَهَّبُ^(٢) الْأَنْفَاسُ مِنْ حَرِّ الْجَوَى
مَرُّوا عَلَى وَادِي الْغَضَا فَقَلَّبُوا
مَنْ الْجَوَى قَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا^(٣)

(١) في (س): «أئن» وهو خطأ.

(٢) في (ب) و(س): «تلهب».

(٣) لم أجد الأبيات عند غير المصنف، وقد أوردتها أيضاً في «شرح حديث عمار بن ياسر». وفي حاشية

(ش): «بلغ مقابلة».

الباب التاسع

في رضا المحبين بمر الأقدار،

وتنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار

قد تقدم أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «أَسْأَلُكَ^(١) الرِّضَا بعدَ القضا، وبرَدَ العيش بعدَ الموت، ولذَّةَ النَّظَرِ إلى وجهك، والشَّوْقَ إلى لقاءك»^(٢).

وخرَجَ الترمذي من حديث أنسٍ عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٣).

وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ بَرْقَانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ^(٤)، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُقْبِلًا وَعَلَيْهِ إِهَابٌ كَبَشٍ قَدْ تَنَطَّقَ^(٥) بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ يَغْذُوَانِهِ^(٦) بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالْأَشْرَابِ، فَدَعَاهُ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ». خَرَّجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي مُسْنَدِ عُمَرَ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»^(٧).

(١) زاد في (س): «اللهم إني».

(٢) سبق تخريجه في أول الباب الثامن.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال: «حسن غريب من هذا الوجه».

(٤) إنما رواه جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران، عن يزيد بن الأصم.

(٥) في (س): «تمنطق».

(٦) في (س): «يغذونه».

(٧) كتاب الإسماعيلي لا أعلم عن وجوده شيئاً، وقد ذكر ابن كثير في «مسند الفاروق» (٩٨٤) هذا

الحديث من رواية الإسماعيلي، وقال: «فيه غرابة وانقطاع». وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»

(١٠٨/١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٧٩).

وقد رُوِيَ من وجهٍ آخر مُرْسَلًا^(١).

وَرَوَى حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّحْبِيُّ - وفيه ضَعْفٌ^(٢) - عن عِكْرَمَةَ، عن ابنِ عَبَّاسٍ،
عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا الْفَقْرُ^(٣)» أَسْرَعُ إِلَيْهِ مِنْ جَرِيَةِ
السَّيْلِ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ عَلَى وَجْهِهِ، [وَالْفَقْرُ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَسْرَعُ
مِنْ جَرِيَةِ السَّيْلِ عَلَى وَجْهِهِ]^(٤)، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلْيُعِدَّ لِلْبَلَاءِ تَجْفَافًا، وَإِنَّمَا
يَعْنِي الصَّبْرَ^(٥).

وقد رُوِيَ معْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ وُجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَكْثَرِهَا سَوَى
ذِكْرِ حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ^(٦).

قَالَ مُوسَى بْنُ وَرْدَانَ: لَمَّا احْتَضَرَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ جَعَلَ يَقُولُ:
اخْتَقِ خَنْقَكَ فَوَعِزَّتَكَ إِنِّي أُحِبُّكَ^(٧).

وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ، عَنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ

(١) لم أقف عليه.

(٢) ولقبه: (حنس)، وكذلك جاء في أسانيد هذا الحديث.

(٣) في (س): «والفقر».

(٤) ما بين معقوفين لا يوجد في (ب) ولا في البيهقي وابن عساكر.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ والسياق كله: أبو القاسم الحلبي في «جزئه»^(٥).

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»^(٦/١١٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»^(٦/٣٨٥) دون
الزيادة التي بين معقوفين.

(٦) ومنها حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه عند الترمذي (٢٣٥٠).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين»^(١٦٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»
(٤٥٠/٥٨).

عميرة أن مُعَاذًا نَزَعَ نَزْعًا لَمْ يَنْزَعْهُ أَحَدٌ، فَكَانَ كُلَّمَا أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ فَتَحَ طَرَفَهُ، ثُمَّ قَالَ: اخْنُقْنِي خَنْقَكَ فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ^(١).

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ حَسَّانَ: إِنَّ حُذَيْفَةَ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ قَالَ: هَذِهِ آخِرُ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ، فَبَارِكْ لِي فِي لِقَائِكَ^(٢).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّازِيُّ: صَحِبْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا رَأَيْتُهُ ضَاحِكًا وَلَا مُتَبَسِّمًا إِلَّا يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ عَلِيٌّ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبُّ أَمْرًا فَأَحْبَبْتُ مَا أَحَبَّ اللَّهُ^(٣).

قَالَ مَرْدُؤِيَّةُ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ: دَرَجَةُ الرَّضَا عَنِ اللَّهِ دَرَجَةُ الْمُقَرَّبِينَ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ إِلَّا رَوْحٌ وَرِيحَانٌ^(٤).

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّضَا عَنِ اللَّهِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ^(٥).

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّبَاجِيُّ: سَأَلَ رَجُلٌ فَضَيْلًا بْنَ عِيَاضٍ فَقَالَ: مَتَى يَبْلُغُ الرَّجُلُ غَايَتَهُ مِنْ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: إِذَا كَانَ عَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ إِيَّاكَ عِنْدَكَ سَوَاءً فَقَدْ بَلَغْتَ الْغَايَةَ مِنْ حُبِّهِ^(٦).

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٢٦٧١) في ضمن سياق طويل.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩٧/١٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٠/٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨٣/٤٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩٧/٨).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٤/٨) والسمع: عبد الصمد بن يزيد.

(٦) في (ب) و(س): «حب الله». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١١٣/٨).

وذكر أبو القاسم الدمشقي الحافظ في «تاريخه» بإسناده، عن أبي شعيب قال: سألت إبراهيم بن أدهم الصُّحْبَةَ إلى مَكَّةَ، قال لي: على شريطةٍ على^(١) أنك لا تنظرُ إلا لله وبالله، فشرطتُ له ذلك على نفسي، فخرجتُ معه، فبينما^(٢) نحنُ في الطَّوْافِ فإذا أنا بغلام قد افتتنَ النَّاسُ به لحُسْنِهِ وجمالِهِ، فجعلَ إبراهيمُ يُدِيمُ النَّظَرَ إليه، فلما أطال ذلك قُلْتُ: يا أبا إسحاق، أليس شرطتَ عليَّ أن لا ننظرَ إلا لله وبالله^(٣)؟ قال: بلى، قُلْتُ: فإنِّي أراك تُدِيمُ النَّظَرَ إلى هذا الغلام، فقال: إن هذا ابني وولدي، وهؤلاء غلمانِي وخدمِي الذين معه، ولولا شيءٌ لقبلته، ولكن انطلقْ فسلمْ عليه مني، قال: فمَضَيْتُ إليه وسَلَّمْتُ عليه من والدِهِ، فجاءَ إلى والدِهِ فسلمَ عليه، ثم صرَفَهُ معَ الخدمِ، فقال: ارجعْ انتظرْ أيَّ شيءٍ يُرادُ بك، فأنشأ يقولُ:

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرًّا فِي هَوَاكَ وَأَيْتَمْتُ الْعِيَالَ لَكِي أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحَبِّ إِرْبَا لَمَا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ^(٤)

ورَوَى ابنُ أبي الدنيا بإسناده عن عبد الواحد بن زيد قال: خرجتُ إلى ناحية الخُرَيْبَةِ^(٥) فإذا إنسانٌ أسودٌ مجذومٌ، قد تقطعتُ كُلُّ جارحةٍ له بالجُذَامِ، وعَمِيَ وأقْعِدَ، وإذا صبيانٌ يرمونه بالحجارة حتَّى دَمَوْا وجهَهُ^(٦)، فرأيتُهُ يُحرِّكُ شَفَتَيْهِ، فدَنَوْتُ منه لأسمعَ ما يقولُ، فإذا هو يقولُ: يا سيدي إِنَّكَ لتَعْلَمُ أَنَّكَ لو قَرَضْتَ

(١) في (س): «عليك».

(٢) في (ب): «فبينما».

(٣) في (ت): «تنظر»، وفي (س): «تنظر إلا بالله والله».

(٤) أخرجه أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي في «تاريخ دمشق» (٦/٣٠٦).

(٥) موضع بالبصرة.

(٦) في (س): «ورأسه»، وضرب عليها في (ش)، وهي لحق في (ت). ولا توجد في المصدر.

لحمي بالمقاريض، ونشرت عظامي بالمناشير ما ازددت لك إلا حُبًّا، فاصنع بي ما شئت^(١).

وعن الأوزاعي قال: حدثني بعض الحكماء قال: رأيت رجلاً قد ذهب يداؤه ورجلاه، وهو يقول: اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك كفضلك على سائر خلقك؛ إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً، فقلت له: على أي نعمة تحمد؟ فقال: أليس قد ترى ما صنع بي؟ قال: قلت: بلى، قال: فوالله لو أن الله صب علي السماء^(٢) ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدمرته، وأمر البحار فغرقته، وأمر الأرض فخسفت بي، ما ازددت له إلا حُبًّا، وما ازددت له إلا شُكراً^(٣).

وعن بكر بن خنيس قال: مررت بمجدوم وهو يقول: وعزتك وجلالك لو قطعني بالبلاء قطعاً ما ازددت لك إلا حُبًّا^(٤).

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

لو قطعني الغرام إرباً إرباً ما ازددت على الملام إلا حُبًّا
لا زلت بكم أسير وجد صباً حتى أقضي على هواكم نجباً^(٥)
وروى أبو العباس بن مسروق بإسناده عن خلف البرزالي^(٦) أنه أتني بمجدوم

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١١٦).

(٢) في (س): «من السماء» وليس في المصدر.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٤/٥١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٩٣).

(٥) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٨٢).

(٦) في (س) و(ب): «اليزار»، وفي حاشية (س): «البرزالي». والله أعلم بصوابه.

ذَاهِبِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ أَعْمَى، فَجَعَلَهُ مَعَ الْمَجْدُومِينَ وَغَفَلَ عَنْهُ، ثُمَّ ذَكَرَهُ، فَقَالَ^(١):
يَا هَذَا، غَفَلْتُ عَنْكَ، فَقَالَ: حَبِيبِي وَمَنْ أَنَا أَحِبُّهُ فَقَدْ أَحَاطَتْ مُحِبَّتُهُ بِأَحْشَائِي فَلَا
أَجِدُ لِمَا أَنَا فِيهِ مِنَ أَلَمٍ مَعَ مُحِبَّتِهِ لَا يَغْفُلُ عَنِّي، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي نَسِيتُكَ، قَالَ: إِنَّ لِي
مَنْ يَذْكُرُنِي، وَكَيْفَ لَا يَذْكُرُ الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ وَهُوَ نُصِبَ عَيْنِهِ^(٢) تَائِهَ الْعَقْلِ وَاللُّبِّ^(٣).

وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بُنَانِ الْحَمَّالِ قَالَ: لَيْسَ يَتَحَقَّقُ فِي
الْحَبِّ حَتَّى يَتَلَذَّذَ بِالْبَلَاءِ فِي الْحَبِّ كَمَا يَتَلَذَّذُ الْأَغْيَارُ بِأَسْبَابِ النَّعَمِ^(٤).

وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ الزَّاهِدُ يَقُولُ: أَوْجَدَهُمْ فِي تَعْذِيبِهِ عَذُوبَةً. يُشِيرُ إِلَى صَبْرِهِمْ
عَلَى الضَّرِّ وَالْفَقْرِ^(٥).

وَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَارِفَاتِ: مَا النَّعِيمُ إِلَّا الْأَنْسُ بِاللَّهِ وَالْمُوَافَقَةُ لِتَدْبِيرِهِ^(٦).

وَشَكََا رَجُلٌ إِلَى فَضِيلِ الْفَقْرِ فَقَالَ فَضِيلٌ: أَمُدِّبَرًا غَيْرَ اللَّهِ تُرِيدُ^(٧).

وَقَالَتْ رَابِعَةٌ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِذَا قَضَى لَهُمْ شَيْئًا لَمْ يَتَسَخَّطُوهُ^{(٨)(٩)}.

(١) فِي (س): «فَقَالَ لَهُ».

(٢) فِي (ش) وَ(س): «عَيْنِهِ».

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (١/ ٥٦٥) وَلَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ أَبِي
الْعَبَّاسِ بْنِ مَسْرُوقٍ.

(٤) أَخْرَجَهُ السُّلَمِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ» فِي تَرْجُمَةِ بَنَانٍ فِي الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ (ص: ٢٢٦).

(٥) مِمَّا نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (١/ ٥٥٤) عَنْ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ.

(٦) هِيَ مُؤَمِّنَةٌ بِنْتُ بَهْلُولِ الدَّمَشْقِيَّةِ رَحِمَهَا اللَّهُ. أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادٍ» (١٢/ ٥٠١)، وَابْنُ
عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقٍ» (٧٠/ ١٢٨).

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/ ٩٣).

(٨) فِي (ش) وَ(ت) وَ(س): «يَتَسَخَّطُوهُ».

(٩) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الرِّضَا عَنْ اللَّهِ بِقَضَائِهِ» (٢١).

وقال يحيى بن مُعَاذٍ: لو أَحْبَبْتَ رَبَّكَ ثُمَّ جَوَّعَكَ وَأَعْرَاكَ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ تَحْتَمِلَهُ
وتكْتَمَهُ عَنِ الْخَلْقِ، فقد يَحْتَمِلُ الْمُحِبُّ^(١) لِحَبِيبِهِ الْأَذَى، فكيفَ وَأَنْتَ تَشْكُوهُ فيما
لم يَصْنَعْهُ بِكَ^(٢)؟

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

ويَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي وَتَفَعَّلَهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ^(٣)
وقد تقدَّمَ ما أنشده أبو ترابٍ النَّخَشَبِيُّ وهو:

لَا تُخْذَعَنَّ فَلِلْمُحِبِّ دَلَائِلُ وَلَدَيْهِ مِنْ تُحَفِ الْحَبِيبِ وَسَائِلُ
مِنْهَا تَنْعُمُهُ بِمُرِّ بَلَائِهِ وَسُرُورُهُ فِي كُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُ
فَالْمَنْعُ مِنْهُ عَطِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ وَالْفَقْرُ إِكْرَامٌ وَبِرٌّ عَاجِلُ^(٤)

وكانَ فَتَحُ الْمَوْصِلِيِّ يَجْمَعُ عِيَالَهُ فِي لِيَالِي الشَّتَاءِ ويقولُ بِكِسَائِهِ عَلَيْهِمُ، ثُمَّ
يقولُ: اللَّهُمَّ أَفْقَرْتُني وَأَفْقَرْتَ عِيَالِي، وَجَوَّعْتَنِي وَجَوَّعْتَ عِيَالِي، وَأَعْرَيْتَنِي وَأَعْرَيْتَ
عِيَالِي، بِأَيِّ وَسِيلَةٍ تَوَسَّلْتُهَا إِلَيْكَ؟ وَإِنَّمَا تَفَعَّلُ هَذَا بِأَوْلِيائِكَ وَأَحْبَابِكَ، فَهَلْ أَنَا مِنْهُمْ
حَتَّى أَفْرَحَ^(٥)؟

(١) في (س) و(ب): «الحبيب»، وفي حاشية (س) ما يوافق المثبت.

(٢) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله تعالى، وقد أورده أيضاً في «الاقْتباس من مشكاة وصية النبي
ﷺ لابن عباس».

(٣) نسبه الراغب الأصبهاني في «محاضرات الأدباء» (٥٤/٢) للمتنبّي، وفي «محاضرات الأدباء»
(٥٣١/١) أنشده الشبلي لفلانة الطبرانية تغني به، وهو من شعر أبي نواس بنحوه.

(٤) سبق في آخر الباب الخامس.

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٥٩/١٤).

ودخل ليلةً إلى أهله وهو صائمٌ فلم يجدْ عندهم عشاءً^(١) ولا ما يُسرِّجون به،
فجلس يبكي من الفرح، ويقول: إلهي مثلي يُترك بلا عشاءٍ ولا سراج، بأيِّ يدٍ كانت
مني؟ فما زال يبكي إلى الصُّباحِ رحمه الله^(٢).

ويروى عن الفضيل بن عياضٍ نحو هذا أيضاً^(٣) ^(٤).

وكان عليُّ بنُ بابويه^(٥) الصُّوفيُّ في الطَّوافِ فهجَمَتِ القرامِطةُ على النَّاسِ
فقتلوهُم فأخذته السُّيُوفُ فلَمَّا وقعَ تمثَّلَ بهذا البيتِ:

تَرَى الْمُحِبِّينَ صَرَعَى فِي دِيَارِهِمْ كَفْتِيَةَ الْكَهْفِ لَا يَدْرُونَ كَمْ لِبْثُوا^(٦)
وَاسْتُشْهِدَ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَلَدٌ فِي الْجِهَادِ، فَجَاءَ النَّاسُ يُعْزُونَ بِهِ^(٨)، فَبَكَى
وَقَالَ: مَا أَبْكَى عَلَى مَوْتِهِ، إِنَّمَا أَبْكَى كَيْفَ كَانَ رِضَاؤُهُ عَنِ اللَّهِ حِينَ أَخَذَتْهُ السُّيُوفُ^(٩).

(١) في (س): «شيئاً»، وفي الحاشية ما يوافق المتن.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٤٦).

(٣) في (ش) و(ت): «مثل هذا».

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٢٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»
(٤٨/٤٩٥).

(٥) في حاشية (ب): «باكويه. نسخة» والصواب المثبت.

(٦) في (س): «ما» وفي الحاشية ما يوافق المثبت.

(٧) وكان ذلك سنة (٣١٧)، والخبر ذكره ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٥).

(٨) «به» سقطت من (ش).

(٩) ذكره المصنف في عدد من كتبه: «اختيار الأولي» و«الاقتباس»، و«شرح حديث ليك». وذكر
ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه
القصة من رواية أبي عبد الرحمن الجرجاني: أنه ذهب ليعزي رجلاً وقد قتلت الترك ابنه،
فبكى... القصة.

وفي هذا المعنى يقول القائل:

إِنْ كَانَ سُكَّانُ الْغَضَا رَضُوا بِقَتْلِي فَرَضَا
والله لَا كُنْتُ لِمَا يَهْدِي سَوَى الْحَبِيبِ مُبْغِضَا
صِرْتُ لَهُمْ عَبْدًا وَمَا لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْتَرِضَا^(١)

فصل

ومِمَّا يَسْتَحْلِيهِ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ اخْتِيَارُهُمُ الدَّلَّ لَهُمْ عَلَى الشَّرَفِ، وَالْخُمُولَ عَلَى الشُّهْرَةِ.

قَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا^(٢) فَأَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ مَكَانَهُ^(٣).
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى خِدْمَتَهُ سِوَى مَحْبُوبِهِ^(٤).

وَقَالَ ذُو النُّونِ: كُلُّ مُطِيعٍ مُسْتَأْنَسٍ، وَكُلُّ عَاصٍ مُسْتَوْحِشٍ، وَكُلُّ مُحِبٍّ ذَلِيلٌ،
وَكُلُّ خَائِفٍ هَارِبٌ، وَكُلُّ رَاجٍ طَالِبٌ^(٥).

(١) نقل الأبيات ابن الجوزي في «المدھش» (ص: ٢٧٧)، والعماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٦٦/٣) وهي من قصيدة لأبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة (٥٢٤) رحمه الله.

(٢) في (ب): «ما أحبَّ الله عبداً»، والصواب المثبت.

(٣) أخرجه ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٥١٨/٣) من طريق ابن أبي الدنيا.

(٤) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» في ترجمته من الطبقة الأولى (ص: ٩٤).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٦/٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٥) وذكر أنه مما وجدته مكتوباً على صخرة بيت المقدس.

وكانَ بشرٌ يقولُ في دُعائه: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعِزِّ، وَأَنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى، وَأَنِّي لَا أُوثِرُ عَلَى حُبِّكَ شَيْئًا، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ الْبُكَاءُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا هَاهُنَا لَمْ أَتَكَلَّمْ^(١).

وسُئِلَ يوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا بَالُ الْمُحِبِّينَ يَتَلَذَّذُونَ بِالذُّلِّ فِي الْمَحَبَّةِ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

ذُلُّ الْفَتَى فِي الْحَبِّ مَكْرُمَةٌ وَخُضُوعُهُ لِحَبِيبِهِ شَرَفٌ^(٢)
وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:
مساكينُ أهلِ الحبِّ حتَّى قُبُورُهُم عليها ترابُ الذُّلِّ بينَ المقابرِ^(٣)
ويقولُ الآخرُ:

العِزُّ ذُلِّي فَلَا تَلْمَنِي مَا تَبْتَغِي يَا عَذُولُ مَنِي^(٤)
قالَ جعفرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: عن مالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قالَ موسى عليه السَّلامُ: إلهي أينَ أبغيتَ؟ فأوحى اللهُ إليه: يا موسى ابغني عندَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ^(٥)؛ فَإِنِّي أَدْنُو مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَاعًا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَانْهَدَمُوا.

(١) أخرجه الذهبي بسنده في «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤٧٣).

(٢) هو في «تاريخ دمشق» لابن عساكر، انظر: «مختصر ابن منظور» (٢٨/٧٦).

(٣) استشهد به الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ولم يُنسب إلى قائل. وهو في ديوان الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص: ٢٨) وفيه: «مساكين أهل الفقر». وانظر: «مصارع العشاق» للسراج القارئ (١/١٣٠).

(٤) في (ب) و(س): «يا عذولي مني». ولم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) زاد في (ب): «من أجلي».

قال جعفر بن سليمان: فقلتُ لمالك: كيف المُنكسرةُ قلوبُهم؟ فقال: سألتُ الذي قرأ في الكتُب، فقال: سألتُ الذي سأل عبد الله بن سلام عن المُنكسرة قلوبُهم ما يعني؟ قال: المُنكسرةُ قلوبُهم بحُبِّ الله عزَّ وجلَّ عن حُبِّ غيره. خرَّجه إبراهيم بن الجنيد^(١).

(١) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة لله عز وجل» (٦٩).

البَابُ العَاشِرُ

فِي ذِكْرِ خَوْفِ الْمُحِبِّينَ الْعَارِفِينَ وَفَضْلِهِ عَلَى سَائِرِ الْخَائِفِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْفُجَّارِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿ [المطففين: ١٤ - ١٧]، فَوَصَّفَهُمْ بِأَنْ كَسَبَهُمْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَالرَّانُ هُوَ مَا يَعْلُو الْقَلْبَ (١) مِنْ الذُّنُوبِ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَاصِي وَقَسَوْتِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ جَزَاءَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

الْحِجَابُ عَنْ رَبِّهِمْ، ثُمَّ صِلِيُّ الْجَحِيمِ، ثُمَّ التَّوْبِيخُ، فَأَعْظَمُ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ حِجَابُهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَمَّا كَانَتْ قُلُوبُهُمْ فِي الدُّنْيَا مُظْلِمَةً قَاسِيَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ وَحَقَائِقِ الْعِرْفَانِ كَانَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ حِجَابَهُمْ عَنْ رُؤْيَا الرَّحْمَنِ.

قَالَ (٢) بَعْضُ الْعَارِفِينَ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا عَرَفَهُ بِقَدْرِ تَعَرُّفِهِ إِلَيْهِ، وَتَجَلَّى لَهُ فِي الْآخِرَةِ بِقَدْرِ مَعْرِفَتِهِ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا، فَرَأَاهُ (٣) فِي الدُّنْيَا رُؤْيَا الْأَسْرَارِ وَيَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ رُؤْيَا الْأَبْصَارِ، فَمَنْ لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا بَسِيرَهُ (٤) لَا يَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ بَعِينَهُ. انْتَهَى (٥).

فَخَوْفُ الْعَارِفِينَ فِي الدُّنْيَا مِنْ احْتِجَابِهِ عَنْ بَصَائِرِهِمْ (٦)، وَفِي الْآخِرَةِ مِنْ احْتِجَابِهِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَتَوَاطُرِهِمْ.

(١) فِي (س): «عَلَى الْقَلْبِ».

(٢) فِي (ب): «وَقَالَ».

(٣) فِي (س): «فَرَأَاهُ».

(٤) فِي (س): «بَسِيرَهُ لَسْرَهُ» وَهُوَ تَكَرُّرٌ لَا مَعْنَى لَهُ.

(٥) لَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٦) فِي (ب): «أَبْصَارِهِمْ»، وَهُوَ سَبْقُ قَلَمٍ.

وكتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به، والسلام^(١).

كان^(٢) عتبة الغلام يبكي بالليل ويقول: قطع ذكر العرض على الله أوصال المحبين، ثم يحشرج البكاء حشرجة الموت، ويقول: تراك مولاي تعذب محبيك^(٣) وأنت الحي الكريم^(٤)؟

وبات ليلة بالساحل قائماً يردد هذه الكلمات لا يزيد عليها ويبكي حتى أصبح: إن تعذبني فإنني محب لك، وإن ترحمني فإنني محب لك^(٥).

وكان كهمس يقول في الليل: أترك معذبي^(٦) وأنت قرّة عيني يا حبيب قلباه^(٧). وكان أبو سليمان يبكي ويقول: لئن طالبنني بذنوبي لأطالبته بعفوه، ولئن طالبنني بيخلي لأطالبته بجوده، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أنني كنت أحبه^(٨). وأخذ بعض الشعراء هذا المعنى^(٩) فقال:

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٤١)، وفي «كلام الليالي والأيام» (٣٩).

(٢) في (س): «وكان».

(٣) في (س): «محبك».

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٣٥/٦).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢١١)، وابن أبي الدنيا في «الرقّة والبكاء» (٢٣٠)، والبيهقي في

«شعب الإيمان» (٤٧٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٣٤/٦).

(٦) في (س): «تعذبني».

(٧) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢١٣/٦).

(٨) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٥/٩) بنحوه، مما سمع منه في خلوته لا في محضر الناس.

(٩) في (ب) و(س): «وأخذ هذا المعنى بعض [الشعراء] المتأخرين فقال».

وَحَقُّكَ لَوْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ قُلْتُ لِدَ لَذِينَ بِهَا قَدْ كُنْتُ مَمَّنْ يُحِبُّهُ^(١)
وَأَيَّةُ حُبِّ الصَّبِّ أَنْ يَعْذُبَ الْأَسَى إِذَا كَانَ مِنْ يَهُوَى عَلَيْهِ يَضُبُّهُ^(٢)

كَانَ^(٣) بَعْضُ الْمُحِبِّينَ عِنْدَ قَوْمٍ يَبْكُونَ مِنَ الْخَوْفِ، فَأَنْشَدَ:

كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَكَ مِنْ خَوْفٍ نَارٍ^(٤) وَيَرُونَ النَّجَاةَ فَضْلاً جَزِيلاً
أَوْ بَأْسَ يَسْكُنُوا الْجِنَانَ فَيُعْطُوا رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِهَا سَلْسَبِيلاً
لَيْسَ لِي فِي الْجِنَانِ وَالنَّارِ رَأْيٌ أَنَا لَا أَبْتَغِي بِحُبِّي بَدِيلاً
فَقِيلَ لَهُ: لَوْ طَرَدَكَ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ؟ فَقَالَ:

أَنَا إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنَ الْحَبِّ وَضْلاً رُمْتُ فِي النَّارِ مَنَزَلاً وَمَقِيلاً
ثُمَّ أَزَعَجْتُ أَهْلَهَا بِبِنْدَائِي بُكْرَةً فِي عِرَاصِهَا وَأَصِيلاً
مَعَشَرَ الْمُشْرِكِينَ نُوحُوا عَلَى مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ يُحِبُّ الْجَلِيلَ
لَمْ يَكُنْ فِي الَّذِي ادَّعَاهُ مُحِقّاً فَجَزَاهُ بِهِ الْعَذَابَ الطَّوِيلَ^(٥)
وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُ رَقِيَّةَ الْمَوْصِلِيَّةِ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، لَوْ أَنَّكَ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابِكَ
كُلَّهُ كَانَ مَا فَاتَنِي مِنْ قُرْبِكَ أَعْظَمَ عِنْدِي مِنَ الْعَذَابِ^(٦).

(١) فِي (س): «أَحْبَهُ».

(٢) الْبَيْتَانِ مِنْ أَبْيَاتِ ذِكْرِهَا ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (١/١٦١) وَنَسَبَهَا إِلَى ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْبَغْدَادِيِّ الْمَعْتَزَلِيِّ الشَّيْعِيِّ.

(٣) فِي (س): «وَكَانَ».

(٤) فِي (ش) وَ(ت): «كُلُّهُمْ يَعْبُدُوكَ مِنْ خَوْفِ نَارِكَ».

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٢/٤٥٠) مِنْ قَوْلِ شَابٍ فِي مَجْلِسِ ذِي النُّونِ. وَعِنْدَهُ: «كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَ...».

(٦) فِي أَوَاخِرِ الْبَابِ السَّادِسِ.

وقال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي^(١).
كان^(٢) الشبلي يهيج في داره وينشد:

على بُعدك لا يصب رُمن عادته القرب
ولا يقوى على حب لك من تيمه الحب
فإن لم ترك العين فقد أبصرك القلب^(٣)

فصل

ومما يخافه العارفون: فوات الرضا عنهم، وإن وجدوا العفو^(٤) أو ترك العقوبة، فالرضا^(٥) أحب إليهم من نعيم الجنة كله مع الإعراض وعدم التقريب والزلفى، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَسْكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] يعني: أكبر من نعيم الجنة.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ قالوا: وما أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٦).

(١) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/٣٧٧)، والغزالي في «إحياء علوم الدين» في كتاب الخوف والرجاء، بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف.

(٢) في (س): «وكان».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/٥٦٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/٥١)، وأخرجه السراج القاري في «مصارع العشاق» (١/١٧٢).

(٤) في (ب): «وإن وجد العفو».

(٥) في (س): «فإن الرضا».

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَكَانَ مُطَرَّفٌ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّا، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ عَنَّا فَاعْفُ عَنَّا^(١).
 وَرُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: غَفَرَ لِي وَأَعْرَضَ عَنِّي وَعَنْ
 جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ^(٢).
 فَالْمُحِبُّونَ الْعَارِفُونَ يَخَافُونَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ الرِّضَا مِنْ
 أَوَّلِ الْأَمْرِ.

قَالَ الْفُضَيْلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ رِضْوَانَهُ فَقَدْ سَأَلَهُ عَظِيمًا^(٣).
 وَقَالَ: لَوْ أُخْبِرْتُ عَنْ جَبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ بِشِدَّةِ اجْتِهَادٍ مَا عَجِبْتُ، وَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا
 عِنْدَمَا يَطْلُبُونَ، أَتَدْرُونَ أَيَّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ وَأَيَّ شَيْءٍ يُرِيدُونَ؟ رِضَا^(٤) رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ^(٥).
 قَالَ^(٦) جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا جَمَعَ
 الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لِي: يَا مَالِكُ، فَأَقُولُ: لَبَّيْكَ، فَيَأْذَنُ لِي أَنْ أَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيْهِ
 سَجْدَةً، فَأَعْرِفَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِّي، فَيَقُولُ: يَا مَالِكُ، كُنِ الْيَوْمَ ثَرَابًا^(٧).
 وَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبُسْرِيُّ^(٨) يَقُولُ: مَا غَمِّي وَلَا أَسْفِي إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي مِمَّنْ عَفَا

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (١٣٣٣)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢٠٧/٢) وَغَيْرُهُمَا.

(٢) وَذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ.

(٣) لَمْ أَجِدْهُ عَنِ الْفُضَيْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ لِأَبِي ذَرٍّ عَمْرِ بْنِ ذَرٍّ. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي

خَيْشَمَةَ فِي «تَارِيخِهِ» السَّفَرِ الثَّالِثِ (٥٨)، وَأَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ فِي «الْأَسَامِيِّ وَالْكُنَى» (٢١٣/٣).

وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (١١٢/٥) (٧٦/٥).

(٤) فِي (ب) وَ(س): «يُرِيدُونَ رِضَا».

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٩٨/٨).

(٦) فِي (س): «وَقَالَ».

(٧) أَخْرَجَهُ الْخُتْلِيُّ فِي «الدِّيَاجِ» (٢٤)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْمَتَمَنِّينَ» (٣٣).

(٨) فِي (س): «التَّسْتَرِي».

عنه، فقيل له: أليس الخلق على العفو تذابحوا^(١)؟ فقال: أجل، ولكن أي شيء أقبح بشيخ مثلي يوقف غداً بين يدي الله عز وجل فيقال له: شيخ^(٢) سوء كنت، اذهب فقد عفوْتُ عنكَ، أنا أُملي في الله أن يهبَ لي كلَّ من أحبَّني^(٣).

ومما يشتدُّ قلقُ العارفينَ منه الحياءُ من الله عز وجل عند الوقوف بين يديه.

قال بعضهم: ما يمرُّ^(٤) بي أشدُّ من الحياء من الله عز وجل^(٥).

وقال الحسن: لو لم نبك إلا للحياء^(٦) من ذلك المَقامِ لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء^(٧).

وكان الفضيل رحمه الله يقول: واسوأُتاهُ منك وإن عفوْتُ^(٨).

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعتُ محمداً بن حاتم أبا جعفر قال: قال الفضيل بن عياض: لو خيَّرتُ بين أن أبعث فأدخل الجنة وبين أن لا أبعث لا خيَّرتُ أن لا أبعث، قال: فقلتُ لمحمد: هذا من الحياء؟ قال: نعم^(٩).

(١) في (س): «بذا نجوا»، وهو تصحيف.

(٢) في (س): «يا شيخ».

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٢ / ٦٦)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٩٣ / ٢).

(٤) في (ش) و(ت) و(س): «مر».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٨٦) من كلام إسماعيل بن داود المسحلي رحمه الله.

(٦) في (ب): «تبك إلا من الحياء».

(٧) نقله المصنف من رواية ابن المنادي، في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

(٨) ذكره ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» (ص: ١٩١). ويُقِلُّ أيضاً عن غير الفضيل بن عياض عند ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٨)، وفي «مثير الغرام» (٢٧٠).

(٩) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨٤ / ٨).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ: وَسَمِعْتُ مَضَاءَ بْنَ عَيْسَى يَقُولُ: كَانَ بَعْضُ التَّابِعِينَ يَقُولُ: لَأَنْ يُؤْمَرَ بِي مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقِفَ^(١) بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى فَيَسْأَلَنِي ثُمَّ يَأْمُرَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا سُلَيْمَانَ فَقَالَ: بَلْ نَقِفُ بِالْمَوْقِفِ فَتَقْرُبُهُ أَعْيُنُنَا^(٢).

وَالِى قَوْلِ أَبِي سُلَيْمَانَ ذَهَبَ أَبُو يَزِيدَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحْبِّينَ، وَإِلَى قَوْلِ الْفَضِيلِ ذَهَبَ حُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ، فَإِنَّهُ قَالَ: لَوْ نَزَلَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُخْبِرُنِي^(٣) أَنِّي لَا أَرَى النَّارَ بَعَيْنِي وَأَنِّي أَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا أَنِّي أَقِفُ بَيْنَ يَدَي رَبِّي ثُمَّ أَصِيرُ^(٤) إِلَى الْجَنَّةِ لَقُلْتُ: لَا أُرِيدُ الْجَنَّةَ، وَلَا أَقِفُ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ^(٥).

وَرُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ مَعْنَى ذَلِكَ أَيْضًا^(٦).

وَرُوِيَ أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ لَمَّا احْتَضَرَ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ؟ قَالَ: مَا لِي لَا أَجْزَعُ؟ وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي؟ وَاللَّهِ لَوْ أُتِيتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا هَمَّ لِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا قَدْ صَنَعْتُ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجْلِ الذَّنْبُ الصَّغِيرُ فَيَعْفُو عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيَا مِنْهُ^(٧).

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا شَيْخٌ عَلَى

(١) فِي (س): «أَوْقِف».

(٢) لَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَذَكَرَهُ أَيْضًا فِي «شرح حديث شداد بن أوس، وفيه: «لو أمر بي من الموقف إلى النار» وهذا أصوب. والله أعلم.

(٣) فِي (س): «يُخْبِرُنِي»، وَهِيَ فِي (ب) مُحْتَمَلَةٌ.

(٤) فِي (ش) وَ(ت): «ثُمَّ إِنِّي أَصِيرُ».

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/ ٢٦٨).

(٦) فَيُبْحَثُ عَنْهُ.

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٢/ ١٠٣).

أمر، ثم أفلح عنها، فلما احتضر أغمي عليه، ثم أفاق فقال: إنني رأيتُ كأنني متُّ وكأنَّ آتياً أتاني فانطلق بي إلى الله عزَّ وجلَّ حتَّى وقفَ بي دونَ الحجابِ، فكأنَّه^(١) أرادني على الدُّخولِ، فتداخَلني الحياءُ والخوفُ، وكأنَّه يقولُ: ما هو إلا الدُّخولُ عليه عزَّ وجلَّ أو دخولُ النَّارِ، قال: فكأنَّني اخترتُ دُخولَ النَّارِ للذي أصابني من الحياءِ، قال: فانطلقَ بي، ثمَّ إنَّه عرَّجَ بي وقيلَ له: انطلقْ به إلى الجنَّةِ^(٢).

وروي عن أبي حامد الخُلُقاني أنَّه أنشدَ الإمامَ أحمدَ هذين البيتين:

إذا ما قالَ لي ربِّي أما استحييتَ تعصيني

وتُخفي الذَّنْبَ من خلقي وبالعصيانِ تأتينني

فأمره الإمامُ أحمدُ بإعادتهما عليه، فأعادهما عليه، فدخَلَ أحمدُ داره وجعلَ يُردِّدُهما ويبكي^(٣).

وأنشدَ بعضهم:

يا حسرةَ العاصينَ عندَ معادِهِم هذا وإنْ قدِمُوا على الجنَّاتِ

لو لم يَكُنْ إلا الحياءُ من الذي سترَ القبيحَ لأعظموا^(٤) الحسراتِ^(٥)

(١) في (ش): «وكانه».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٣١٥).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠٢).

(٤) في (ب): «لأعظم»، وفي (س): «لكان أعظم».

(٥) ذكر ابن الجوزي هذين البيتين مع اختلاف في بعض كلماته في «المدحش» (ص: ٢٠٦).

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

فِي شَرَفِ أَهْلِ الْحَبِّ، وَأَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَعْلَى مَنَازِلِ الْقُرْبِ

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ^(١): «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَبِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَنْتَ^(٢) مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتُ»^(٣). وَفِي رَوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ أَنَسٌ: فَفَرَحْنَا يَوْمَئِذٍ^(٤) فَرَحًا شَدِيدًا^(٥).

وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِهِ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتُ»، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ^(٦). قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: يَكْفِي الْمُحِبِّينَ شَرَفًا هَذِهِ الْمَعِيَّةُ^(٧).

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ^(٨) أَنَّ مُحَبَّةَ اللَّهِ الْوَاجِبَةَ تَسْتَلْزِمُ امْتِثَالَ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابَ مَعْصِيَتِهِ، وَكَذَلِكَ مُحَبَّةُ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

(١) فِي (ب): «فَقَالَ».

(٢) فِي (ب) وَ(س): «أَنْتَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦١٧١، ٧١٥٣) وَمُسْلِمٌ (٢٦٣٩).

(٤) فِي (ش): «يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ».

(٥) أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ (٦١٦٧).

(٦) أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ (٢٦٣٩).

(٧) لَمْ أَظْفَرْ بِقَائِلِهِ.

(٨) فِي (س): «هَذَا الْكِتَابُ».

فالمحبة الصحيحة لهم تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم، وإن عجز عن بلوغ غايته، كما قال أنس رضي الله عنه، ولهذا قال السائل للنبي ﷺ: ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، فدل على أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه، ولم يأت بأزيد من ذلك.

قال عبيد بن عمير: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلاً، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلاً، ويحب الذاكرين ولا يذكر إلا قليلاً، ويحب المتصدقين ولا يتصدق إلا قليلاً، ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلاً، وهو في ذلك يحب الله ورسوله، قال: «هو يوم القيامة مع من أحب»^(١).

وقال أبو سالم الجيشاني^(٢): جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أرى الرجل الجواد^(٣) فأحب الجود وفي بخل، وأرى الرجل الحسن الخلق فأحب حسن الخلق وفي خلق^(٤) سيء، وأرى الرجل الجريء فأحب الجراءة وفي جبن، قال: «أنت مع من أحببت»^(٥).

قال الحسن: ابن آدم لا تغتر بقول من يقول: المرء مع من أحب؛ إنه من أحب قوماً أتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنتهم^(٦).

(١) أخرجه المروزي في «حديث سفيان بن عيينة» (١٣)، وهناد في «الزهد» (٤٨١)، وابن قدامة في

«المتحابين في الله» (٧، ٨). وعبيد بن عمير الليثي هو قاص أهل مكة، مخضرم وقيل له صحبة.

(٢) وهو تابعي روى عن الصحابة، وتصحف في (ت) و(س) إلى: «الجوشاني».

(٣) هنا ينتهي الموجود من النسخة (ت).

(٤) في (س): «وخلقي».

(٥) هذا الحديث مما تفرد بنقله هذا الكتاب، وهو مرسل، ولم أجده في مصدر من المصادر.

(٦) في (س): «بسنتهم».

وَتُصْبِحَ وَتُمْسِي وَأَنْتَ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ^(١)، حَرِيصًا عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَتَسْلُكَ سَبِيلَهُمْ، وَتَأْخُذَ طَرِيقَهُمْ، وَإِنْ كُنْتَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّمَا مِلَاكُ الْأَمْرِ أَنْ تَكُونَ عَلَى اسْتِقَامَةٍ، أَمَا رَأَيْتَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَأَهْلَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ؟ يُحِبُّونَ أَنْبِيََاءَهُمْ وَلَيْسُوا مَعَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَسَلَكُوا^(٢) غَيْرَ طَرِيقَهُمْ، فَصَارَ مَوْرِدُهُمُ النَّارَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ^(٣).

وَفِي «مُسْنَدِ الْبَزَارِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ نَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيََاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيطُهُمُ الْأَنْبِيََاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ وَيُحِبُّونَهُ إِلَى خَلْقِهِ، يَأْمُرُونَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَإِذَا أَطَاعُوا اللَّهَ أَحَبَّهُمُ اللَّهُ»^(٤).
وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجَنْدِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا^(٥).

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: لَمَّا وُضِعَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي قَبْرِهِ قَالَتِ امْرَأَتُهُ: هِنِيئًا لَكَ أبا السَّائِبِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا عَلِمْتُكَ بِذَلِكَ؟» قَالَتْ: كَانَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَصُومُ النَّهَارَ وَيُصَلِّي^(٦) اللَّيْلَ، قَالَ: «بِحَسْبِكَ»^(٧) لَوْ قُلْتُ: كَانَ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ^(٨).

(١) فِي (س): «مَنَاهَجُهُمْ».

(٢) فِي (س): «وَسَلُوكَ».

(٣) أَوْرَدَهُ الْغَزَالِيُّ فِي آدَابِ الْأَلْفَةِ مِنْ «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ»، وَقَالَ: «وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَجْرَدَ ذَلِكَ [أَيِ الْمَحَبَّةِ] مِنْ غَيْرِ مُوَافَقَةٍ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ أَوْ كُلِّهَا لَا يَنْفَعُ.

وَحَدِيثُ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مَشْهُورٌ بَلْ مُتَوَاتِرٌ. وَكَلَامُ الْحَسَنِ عَزَاهُ السَّخَاوِيُّ فِي «الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ» (ص: ٥٩٩) إِلَى الْعَسْكَرِيِّ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ «كَشَفَ الْأَسْتَارَ» (٥٣٠).

(٥) أَخْرَجَهُ الْخُتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٠٢)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٤٠٥).

(٦) فِي (ش): «وَيَقُومُ».

(٧) فِي (س): «فَحَسْبُكَ».

(٨) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (٣/ ٣٧٠ - ط الْخَانَجِي)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْأَوْلِيَاءِ» (٧٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (١/ ١٠٦). وَهُوَ مَرْسَلٌ.

قَالَ^(١) عُبَيْدُ الْغَلَامِ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَطَاعَهُ، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ، وَمَنْ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ فَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُكْرِّرُهَا وَيَقُولُ: وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ، حَتَّى خَرَّ سَاقِطًا مَغْشِيًّا عَلَيْهِ^(٢).

قَالَ فَرَقْدُ السَّبْخِيِّ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: الْمُحِبُّ لِلَّهِ تَعَالَى أَمِيرٌ مُؤَمَّرٌ عَلَى الْأُمَرَاءِ، زُمَرْتُهُ أَوَّلُ الزُّمَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَجْلِسُهُ أَقْرَبُ الْمَجَالِسِ فِيمَا هُنَاكَ. خَرَّجَهُمَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجَنْدِيدِ^(٣).

وخرَجَ ابنُ أبي الدنيا بإسناده، عن عبدِ الله بن عبدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ أَرْمِيا عليه السَّلَامُ: أَيُّ رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا، الَّذِينَ يَسْتَغْلُونَ بِذِكْرِي عَنْ ذِكْرِ الْخَلَائِقِ، الَّذِينَ لَا تَعْرِضُ لَهُمْ وَسَاوِسُ الْعِبَادِ، وَلَا يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْبَقَاءِ، الَّذِينَ إِذَا عَرَضَ لَهُمْ عَيْشُ الدُّنْيَا قَلَوْهُ، وَإِذَا زُويَ^(٤) عَنْهُمْ سُرُّوا بِذَلِكَ، أَوْلَئِكَ^(٥) أَبْحَثُ لَهُمْ^(٦) مَحَبَّتِي، وَأَعْطَيْتُهُمْ فَوْقَ غَايَاتِهِمْ^(٧).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِئِيِّ: حَدَّثَنَا رَبَاحٌ^(٨)، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي الصَّبَّاحِ^(٩) فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾

(١) في (س): «وقال».

(٢) سبق تخريجه عند ذكره في الباب الثالث.

(٣) أخرجه ابن الجنديد الختلي في «المحبة» (١٣٥).

(٤) في (ب): «أزوي».

(٥) في (س): «فأولئك».

(٦) في المصادر: «أنحلهم».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١٠٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠ / ٨).

(٨) رباح بالبلاء. ذكره ابن ماکولا في «الإكمال» (١٠ / ٤).

(٩) هكذا في نسخنا، وجاء في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١٤٧ / ٨) «موسى بن أبي كثير =

[البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، غافر: ٦١] قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِأَهْلِ وَلَايَةِ اللَّهِ، فَيُقَوَّمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:

فَيُؤْتَى بِرَجُلٍ مِنْهُمْ مِنَ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ فيقول: عبدي، لِمَاذَا عَمِلْتَ؟ فيقول: يَا رَبِّ خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَأَشْجَارَهَا، وَثَمَارَهَا وَأَنْهَارَهَا، وَحُورَهَا وَنَعِيمَهَا، وَمَا أَعَدَدْتَ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ فِيهَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي شَوْقًا إِلَيْهَا، فيقولُ اللهُ تعالى: عبدي إِنَّمَا عَمِلْتَ لِلْجَنَّةِ، هَذِهِ الْجَنَّةُ فَادْخُلْهَا، وَمَنْ فَضَّلِي عَلَيْكَ أَنْ أَعْتَقَكَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَدْخُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ الْجَنَّةَ.

قَالَ: ثُمَّ يُؤْتَى بِالصَّنْفِ الثَّانِي بِرَجُلٍ مِنْهُمْ^(١) فيقول: عبدي لِمَاذَا عَمِلْتَ؟ فيقول: يَا رَبِّ خَلَقْتَ نَارًا، وَخَلَقْتَ سِلَاسِلَهَا وَأَغْلَالَهَا، وَسَعِيرَهَا وَسُمُومَهَا، وَيَحْمُومَهَا^(٢) وَمَا أَعَدَدْتَ لِأَعْدَائِكَ فِيهَا وَأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي خَوْفًا مِنْهَا، فيقولُ اللهُ: عبدي إِنَّمَا عَمِلْتَ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَإِنِّي قَدْ أَعْتَقْتُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ فَضَّلِي عَلَيْكَ أَنْ أُدْخِلَكَ جَنَّتِي^(٣)، فَيَدْخُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ الْجَنَّةَ.

ثُمَّ يُؤْتَى بِرَجُلٍ مِنَ الصَّنْفِ الثَّالِثِ، فيقول: عبدي لِمَاذَا عَمِلْتَ؟ فيقول: رَبِّ^(٤) حُبًّا لَكَ وَشَوْقًا إِلَيْكَ، وَعِزَّتِكَ^(٥) لَقَدْ أَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي شَوْقًا إِلَيْكَ وَحُبًّا

= الأنصاري، واسم أبي كثير: الصباح، وكنية موسى: أبو الصباح. وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: كوفي محله الصدق. فعلى هذا يكون التصويب: (حدثنا موسى بن الصباح)، أو: (حدثنا موسى أبو الصباح).

(١) في (ب) و(س): «برجل من الصنف الثاني».

(٢) في (ش): «وحميمها».

(٣) في (ش): «إلى جنتي»، وفي (س): «الجنة».

(٤) في (ب) و(س): «عملت».

(٥) في (س): «وعزتك وجلالك».

لَكَ^(١)، فيقولُ تبارَكَ وتعالى: عبدي، إِنَّمَا عَمِلْتَ حُبًّا لِي وَشَوْقًا إِلَيَّ^(٢)، فَيَتَجَلَّى لَهُ الرَّبُّ تبارَكَ وتعالى، ويقولُ: ها أَنَا ذَا، انظُرْ إِلَيَّ، ثُمَّ يَقُولُ: من فضلي عليك أَن أَعْتَقَكَ مِنَ النَّارِ وَأُبَيِّحَكَ جَنَّتِي^(٣)، وَأُزِيرَكَ مَلَائِكَتِي، وَأُسَلِّمَ عَلَيْكَ بِنَفْسِي، فَيَدْخُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ الْجَنَّةَ. خَرَّجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»^(٤).

وخرَّجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «كِتَابِ الْجُوعِ»، مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ نُوحٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ^(٥) خَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، تَكَادُ أَنْوَارُهُمْ تَلْحُقُ بِأَنْوَارِ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ وَالْجَمْعِ الْعَظِيمِ كَادَتْ أَبْصَارُهُمْ تَذْهَبُ مِنَ النُّورِ الَّذِي بَوْجُوهِهِمْ، قِيلَ: بِمَ بَلَّغُوا ذَلِكَ؟ قَالَ: بِحُبِّهِمْ لِلَّهِ، وَاتِّبَاعِ مَسَرَّتِهِ، جَوَّعُوا لَهُ أَنْفُسَهُمْ لِيَقِيَهَا مِنَ الْجُوعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْجُوعِ الْأَكْبَرِ، وَأَظْمَأُوا لَهُ أَنْفُسَهُمْ لِيَنَالُوا حَلَاوَةَ الرِّيِّ مِنْ فَضْلِهِ يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ، وَأَهْمَلُوا لَهُ الْعِيُونَ رَجَاءً أَن يُنِيرَ لَهُمْ غَدَاً فِي ظُلَمٍ^(٦) الْقِيَامَةِ، وَزَكَّوْا أَبْدَانَهُمْ بِتَرْكِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ شَوْقًا إِلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ يَوْمَ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ^(٧).

(١) فِي (س): «وَحَبًّا إِلَيْكَ».

(٢) فِي (س): «شَوْقًا لِي وَحَبًّا لِي».

(٣) فِي (س): «وَأَمْنَحُكَ الْجَنَّةَ».

(٤) وَهُوَ مِنَ الْقِسْمِ الْمَفْقُودِ مِنْهُ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (سُورَةُ يُنُسٍ). وَوَقَعَ فِيهِ: عَنْ مُوسَى بْنِ

صَالِحِ بْنِ الصَّبَّاحِ. وَلَا رَجُلَ بِهَذَا الْأِسْمِ وَالنَّسَبِ فِي الْمَصَادِرِ.

(٥) فِي (ب): «قَوْمٌ».

(٦) فِي (ب): «ظُلْمَةٌ».

(٧) لَعَلَّهُ فِي الْقِسْمِ الْمَخْرُومِ مِنَ النُّسخَةِ الَّتِي طُبِعَ عَنْهَا كِتَابُ «الْجُوعِ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا.

ومن طريق إسحاق بن نوح، عن رجلٍ من السَّكاسِكِ، عن عبدِ الله بنِ صَمْرَةَ، عن كَعْبٍ قَالَ: إِنِّي لَأَجِدُ نَعْتَ قَوْمٍ يَكُونُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمَنْزِلَةِ الرَّهْبَانِيَّةِ، قُلُوبُهُمْ نُورٌ، وَأَفْوَاهُهُمْ نُورٌ، تَنْطِقُ أَلْسِنَتُهُمْ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، تَعْجَبُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ اجْتِهَادِهِمْ وَاتِّصَالِهِمْ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١).

ورَوَيْنَا مِنْ رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْفَتْحِ قَالَ: رَأَيْتُ بَشَرَ بْنَ الْحَارِثِ فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ؟ فَحَرَّكَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: هِيَاتِ، حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْحُجُبُ، إِنَّ مَعْرُوفًا لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ شَوْقًا إِلَى جَنَّتِهِ، وَلَا خَوْفًا مِنْ نَارِهِ، وَإِنَّمَا عَبْدُهُ شَوْقًا إِلَيْهِ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرَّقِيعِ^(٢) الْأَعْلَى^(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثْتُ عَنْ الْمُهَلَّبِيِّ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ^(٤): رَأَيْتُ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: مَلَائِكَتِي، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: أَنْتَ أَعْلَمُ، هَذَا مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ، قَدْ سَكِرَ مِنْ حُبِّكَ، لَا يَفِيْقُ إِلَّا بِلِقَائِكَ^(٥).
وَفِي الْبَابِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ طَوِيلٌ، وَهُوَ حَسَنُ الْمَتَنِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ، تَرَكْنَا ذِكْرَهُ لِذَلِكَ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ الْخُرَاسَانِيُّ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ يَقُولُ: بُؤْسًا لِأَهْلِ النَّارِ، لَوْ نَظَرُوا إِلَى زُورَارِ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ حُمِلُوا عَلَى النَّجَائِبِ يُزْفُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ زَفًّا، وَحُشِرُوا وَفْدًا، وَقَدْ نُصِبَتْ لَهُمِ الْمَنَابِرُ، وَوُضِعَتْ لَهُمِ الْكَرَاسِيُّ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ

(١) أخرجه الشجري (ترتيب الأمالي الخميسية ١ / ٣٧٥). وفيه: «عبید الله بن ضميرة».

(٢) في (س): «الرفيق»!

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠ / ٢٢٤). والرفيع: السماء.

(٤) في (ب): «الأنصاري قال».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨ / ٣٦٦).

الجليل جلّ جلاله بوجهه الكريم^(١) ليسرّهم وهو يقول لهم: إليّ عبادي إليّ عبادي، إليّ أوليائي المطيعين، إليّ أحبابي المشتاقين، إليّ أصفياي المحزونين، ها أنا ذا فاعرفوني، من كان منكم مشتاقاً أو مُحبّاً أو مُتملّقاً فليستمتع بالنظر إلى وجهي الكريم، فوعزّتي وجلالي لأفرّحنكم بجواري، ولأسرّنكم بقربي، ولأبيحنكم^(٢) كرامتي، من العُرفات تُشرفون، وتكثّون على الأسرة فتتملّكون، تُقيمون في دار المُقامة أبداً لا تظعنون، وتأمّنون فلا تخافون، تصحّون فلا تسقمون^(٣)، تنعمون في رعد العيش لا تموتون، وتعانقون الحور الحسان^(٤) فلا تملّون ولا تسأمون، كلوا واشربوا هنيئاً^(٥)، وتنعموا كثيراً بما أنحلّت الأبدان، وأنهكتم الأجساد، ولزمتهم الصيام، وسهرتم بالليل والناس نيام^(٦).

قال: وسمِعته يقول: لا تُنال جنّته إلا بطاعته، ولا تُنال ولايته إلا بمحبّته، ولا تُنال مرّضاته إلا بترك معصيته، والله قد أعدّ المغفرة للأوابين، وأعدّ الرّحمة للتّوابين، وأعدّ الجنّة للخائفين، وأعدّ رؤيته للمُشتاقين، وأعدّ الحور للمُطيعين^(٧).

(١) «الكريم» من (ش) وحدها.

(٢) في (ش): «ولأمنحكم»، وفي حاشية (س): «أمنحكم».

(٣) في (ش): «فلا تسأمون» وكتب الناسخ تحت الفاء واواً.

(٤) في (ش): «الحور العين الحسان».

(٥) زاد في حاشية (س): «بما كنتم تعملون»، وليست في المصدر.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧/٨)، وهو في «مشيخة ابن البخاري» (٢٦٧/٢).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٤/٨).

الباب الثاني عشر

في نَبَذِ مَنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ وَتَحْقِيقِهِمْ

تَقْوَى بِهِ الْقُلُوبُ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] قَالَ: يَقُولُ: الْحَبِيبُ. خَرَّجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»^(١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ الطَّوِيلَةِ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، قَالَ: فَيَتَغَشَّاهَا^(٢) نُورُ الْخَالِقِ، وَغَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ مِثْلَ الْغُرْبَانِ حِينَ يَقَعْنَ عَلَى الشَّجَرَةِ مِنْ حُبِّ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ^(٣).

قَالَ الْجَوْزَجَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ حَدَّثَهُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ^(٤) أَنَّهُ^(٥) سَمِعَ أُمَّ^(٦) الدَّرْدَاءِ تَقُولُ: لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ أَحْبَبْنِي وَحَبَّبْنِي إِلَى خَلْقِي^(٧)، وَلَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ إِلَّا بِي، وَلَكِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ أَعَنَّاكَ عَلَيْهِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَخُذْ بِهِ اللَّذَّةَ وَالنَّظْرَةَ وَقُرَّةَ الْعَيْنِ وَالطَّمَأْنِينَةَ^(٨).

(١) ذكره البخاري معلقاً قبل (٧٤١٨) وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢٤/٢٨٣).

(٢) في (ب): «فيغشاه»، وفي (س): «فغشاه»

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/٤٣٢).

(٤) في حاشية (س): «ميمون».

(٥) «أنه» لم تكتب في (ش) و(ب)، ومثلها يلفظ وإن لم يكتب.

(٦) في (س): كتب معها: «أي الدرداء».

(٧) «إلى خلقي» ثابتة في (س)، ومضروب عليها في (ش)، ولا توجد في (ب).

(٨) «النظرة» كذا في النسخ، ولعلها: «النضرة». وجاء في (ش): «الاطمأنينة». وهذا الأثر لم أظفر به

وقال خُلَيْدُ الْعَصْرِيِّ: يَا إِخْوَتَاهُ، هل منكم من أحدٍ لا^(١) يُحِبُّ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ؟
ألا فَأَجِبُّوا رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَسِيرُوا إِلَيْهِ سِيرًا كَرِيمًا. خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٢).

وخرَّجَهُ أَبُو نَعِيمٍ^(٣)، وفي روايةٍ له: فَأَجِبُّوا اللَّهَ، وَسِيرُوا إِلَيْهِ سِيرًا جَمِيلًا، لَا مُصْعِدًا وَلَا مُمِيلًا^(٤).

وخرَّجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمَوْتُ قَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي مُوصِيكَ بِحُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ طَاعَتِهِ وَخَوْفِ اللَّهِ وَخَوْفِ مَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكْرَهُ الْمَوْتَ مَتَى أَتَاكَ^(٥).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْخُرَاسَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَجِيحٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْكَنْدِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى طَاوُسٍ لِيَسْمَعَ مِنْهُ، فَوَافَاهُ مَرِيضًا، فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ^(٦): وَاللَّهِ مَا أَبْكِي عَلَى قَرَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلَا عَلَى دُنْيَا جِئْتُ أَطْلُبُهَا مِنْكَ، وَلَكِنْ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي جِئْتُ أَطْلُبُ^(٧) مِنْكَ يَفُوتُنِي، فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: إِنِّي مُوصِيكَ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ، إِنْ حَفِظْتَهُنَّ عَلِمْتَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَعِلْمَ مَا كَانَ، وَعِلْمَ مَا يَكُونُ: خَفِ اللَّهَ حَتَّى لَا يَكُونَ عِنْدَكَ شَيْءٌ

(١) في (ش) و(ب): «إلا». كما في «الحلية»، والمثبت من (س) موافق لما في «الزهد».

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٣١٤)، والختلي في «المحبة» (١٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٣٢/٢)، والختلي في «المحبة» (١٣٠).

(٤) لفظ: «لا مصعداً ولا مميلاً» لم أجده عند غير المصنف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣١١).

(٦) في (ش): «فقال».

(٧) في (س): «أطلبه».

أخوفَ منه، وارْجُ اللهَ حتَّى لا يكونَ عندَكَ شيءٌ أرْجى منه، وأحبَّ اللهُ حتَّى لا يكونَ شيءٌ أحبَّ إليكَ منه، فإذا فعلتَ ذلكَ علِمْتَ علَمَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ^(١)، وعلِمَ ما كانَ، وعلِمَ ما يكونُ، فقال: لا جرمَ لا سألتُ أحدًا بعدَكَ عن شيءٍ ما بقيتُ^(٢).

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمِعْتُ الفُضَيْلَ بنَ عياضٍ يقولُ: مرَّ عيسى عليه السَّلامُ بثلاثةٍ منَ النَّاسِ نَحَلَتْ أبدانُهُم^(٣)، وتغيَّرت أُلوانُهُم، فقال: ما الذي بَلَغَ بكم ما أرى؟ قالوا: الخوفُ مِنَ النَّيرانِ^(٤)، قال: مخلوقًا خِفْتُم، وَحَقُّ على الله أن يُؤمِّنَ الخائفَ.

ثمَّ جاوزَهُم إلى ثلاثةٍ أُخَرَ فإذا هم أشدُّ تغيُّرًا وأنحَلُّ أجسامًا، فقال: ما الذي بَلَغكم^(٥) ما أرى؟ قالوا: الشَّوْقُ إلى الجنَّةِ، قال: مخلوقًا اشتَقْتُم، وَحَقُّ على الله أن يُعْطِيَكُم ما رَجَوْتُم.

ثمَّ جاوزَهُم إلى ثلاثةٍ أُخَرَ، فإذا هم أشدُّ تغيُّرًا، وأنحَلُّ أجسامًا، كأنَّ على وُجوهِهِم المَرايا مِنَ النُّورِ، فقال: ما الذي بَلَغكم إلى^(٦) ما أرى؟ قالوا: حُبُّ اللهِ، قال: أنْتُم المُقَرَّبُونَ، أنْتُم المُقَرَّبُونَ، أنْتُم المُقَرَّبُونَ^(٧).

ورَوَى إبراهيم بنُ الجُنَيْدِ بإسناده عن مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ قال: أوحَى اللهُ إلى

(١) في (س): «وعلِمَ الآخِرِينَ».

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/٢١) (٤٠٧/٢٣).

(٣) في (س): «أجسامهم».

(٤) في (ب): «النار».

(٥) في (س): «بلغ بكم».

(٦) في (س): «بلغ بكم».

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/١٠). لكن من كلام إسحاق بن خلف، ولا ذكر للفضيل فيه!

مُوسَى عليه السَّلامُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يُحِبَّنِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي كَحُبِّهِ إِيَّايَ^(١).
وعن أَبِي حَازِمٍ الْقَيْسَارِيُّ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: يَا عِيسَى، الْحَقُّ وَالْحَقُّ
أَقُولُ إِنَّي أَحَبُّ إِلَى عَبْدِي مِنْ نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ^(٢).

وعَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ الْيَمَامِيُّ، قَالَ: نَظَرْنَا فَلَمْ نَجِدْ
شَيْئًا يَتَلَذَّذُ بِهِ الْمُتَلَذِّذُونَ أَفْضَلَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ^(٣).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْثٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: كَانَ حَكِيمٌ بْنُ
حَزَامٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نِعَمَ الرَّبِّ، وَنِعَمَ الْإِلَهِ، أُحِبُّهُ وَأَخْشَاهُ^(٤).

وعَنْ بَكْرِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ،
وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ^(٥) فِي قَلْبِهِ^(٦).

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ عُلَيَّةَ^(٧) أَنَّهُ قَالَ فِي عَقِبِ^(٨) هَذَا الْحَدِيثِ: الَّذِي كَانَ
فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ^(٩).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، أَخْبَرَنِي
بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: لَمَّا اسْتَقْضِيَ سَوَارٌ بِالْبَصْرَةِ كَتَبَ إِلَيْهِ أَخُو لَهُ كَانَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ

(١) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٦٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٥٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٦٧).

(٤) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (١٣٦).

(٥) فِي (س): «بَشِيءٍ وَقَرَّ».

(٦) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (١٤٢).

(٧) فِي (ش): «عَيْنَةُ»!

(٨) فِي (س): «عَقِيبَ».

(٩) إِبْرَاهِيمُ هُوَ الْخَتْلِيُّ مُؤَلِّفُ كِتَابِ «الْمَحَبَّة»، وَقَوْلُهُ فِيهِ (١٤٤). وَفِي (ش): «لَخَلْقِهِ».

معه، وكان ببعض الثُّغُورِ: أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ التَّقْوَى عِوَضًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَجْعَلْ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا يَكُونُ عِوَضًا مِنَ التَّقْوَى، فَإِنَّ التَّقْوَى عَقْدَةُ كُلِّ عَاقِلٍ مُسْتَبْصِرٍ، إِلَيْهَا يَسْتَرْوِجُ، وَبِهَا يَسْتَنْ، وَلَمْ يَظْفَرْ أَحَدٌ فِي عَاجِلِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ بِمِثْلِ مَا ظَفَرَ بِهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، الَّذِينَ شَرِبُوا بِكَأْسِ حُبِّهِ، فَكَانَتْ قَرَّةٌ أَعْيُنُهُمْ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ ^(١) أَعْمَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَسِيمِ الْأَدَبِ، وَرَاضُوا ^(٢) رِيَاضَةَ الْأَصْحَابِ الصَّادِقِينَ، فَطَلَّقُوهَا عَنْ فُضُولِ الشَّهَوَاتِ، وَالزَّمُوهَا الْقُوتَ الْمُقْلَقَ ^(٣)، وَجَعَلُوا الْجُوعَ وَالْعَطَشَ شِعَارًا لَهَا بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ، حَتَّى انْقَادَتْ وَأَذَعَنْتْ وَعَزَفَتْ لَهُمْ عَنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، فَلَمَّا ظَعَنَ حُبُّ فُضُولِ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَزَايَلَتْهَا أَهْوَاؤُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَمَانِيهِمْ، وَصَارَتْ الْآخِرَةُ نُصَبَ أَعْيُنِهِمْ وَمُنْتَهَى أَمَلِهِمْ: وَرَثَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ نَوْرَ الْحِكْمَةِ، وَقَلَّدَهَا قَلَائِدَ الْعِصْمَةِ، وَجَعَلَهُمْ دُعَاءَ لِمَعَالِمِ الدِّينِ، يَلْمُونَ مِنْهُ الشَّعْثَ، وَيَشْعَبُونَ مِنْهُ الصَّدْعَ ^(٤). لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَوْعِدٌ ^(٥) صَادِقٌ، اخْتَصَّ بِهِ الْعَامِلِينَ لَهُ وَالْعَالِمِينَ بِهِ، دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ، فَإِذَا سَرَّكَ أَنْ تَسْمَعَ صِفَةَ الْأَبْرَارِ الْأَتْقِيَاءِ فَصِفَةٌ هَؤُلَاءِ فَاسْتَمِعْ ^(٦)، وَشِمَائِلَهُمُ الطَّيِّبَةَ فَاتَّبِعْ، وَإِيَّاكَ يَا سَوَّارَ وَبْنِيَّاتِ الطَّرِيقِ، وَالسَّلَامُ ^(٧).

(١) فِي (س): «وَلَكِنْهُمْ».

(٢) فِي (س): «وَأَرَاضُوهَا».

(٣) فِي الْمَصَادِرِ: «الْمُعْلَقُ».

(٤) فِي (ش): «وَيَشْعَبُونَ مِنْهُ الضَّرْعُ» أَوْ خَطَأً.

(٥) فِي (س): «مَوْعِدٌ».

(٦) فِي (ب): «فَاسْمَعْ».

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْقِنَاعَةِ وَالتَّعَفُّفِ» (ص: ٦٠)، وَالْمَطْبُوعَةُ مَجْرَدَةٌ غَيْرُ مُسْنَدَةٍ. وَأَخْرَجَهُ

أَبُو بَكْرِ الْمُرُوزِيُّ فِي «أَخْبَارِ الشُّيُوخِ وَأَخْلَاقِهِمْ» (١٣١) مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ.

وخرَجَ أبو نُعَيْمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ بَرَّةَ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، قَالَ: النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ اطمَئِنَّتْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَاطْمَأَنَّ اللَّهُ^(١) إِلَيْهَا، وَأَحَبَّتْ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهَا، وَرَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا^(٢)، فَأَمَرَ بِقُبُضِ رُوحِهَا، فَغَفَرَ لَهَا وَأَدْخَلَهَا الْجَنَّةَ، وَجَعَلَهَا مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ^(٣).
وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ مِسْمَعٍ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ نُعَيْمٍ بْنِ صَبِيحٍ السَّعْدِيِّ،
قَالَ: هِمُّ الْأَبْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ^(٤)، وَقُلُوبُهُمْ تَنْظُرُ إِلَى مَوَاضِعِ الْعِزِّ مِنَ
الْآخِرَةِ بِنُورِ أَبْصَارِهِمْ^(٥).

قَالَ مِسْمَعٌ: وَسَمِعْتُ^(٦) عَبْدًا مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ يَقُولُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: قُرَّةَ
عَيْنِي وَسُرُورَ قَلْبِي، مَا الَّذِي أَسْقَطَنِي مِنْ عَيْنِكَ يَا مَانِحَ الْعِصْمِ؟ ثُمَّ صَرَخَ وَبَكَى، ثُمَّ
نَادَى: طُوبَى لِقُلُوبٍ مَلَأَتْهَا خَشْيَتُكَ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا مَحَبَّتُكَ، فَمَحَبَّتُكَ مَانِعَةٌ لَهَا
مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ غَيْرِ مُنَاجَاتِكَ، وَالْاجْتِهَادِ فِي خِدْمَتِكَ، وَخَشْيَتِكَ قَاطِعَةٌ لَهَا عَنْ سَبِيلِ
كُلِّ مَعْصِيَةٍ خَوْفًا لِحُلُولِ سَخَطِكَ، ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، ابْكُوا عَلَى فَوْتِ خَيْرِ
الْآخِرَةِ حَيْثُ لَا رَجْعَةَ وَلَا حِيلَةَ^(٧).

(١) فِي (ش): «وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا».

(٢) فِي (ش): «وَرَضِيَ عَنْهَا». وَكَذَلِكَ «وَأَحَبَّ لِقَاءَهَا».

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/ ٢٩٩). وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ: الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٧٥).

(٤) فِي (ش): «الْجَبَّارُ»!

(٥) لَمْ أَجِدْهُ فِيمَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْزَاءِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، لَكِنْ أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (٢٣٤) مِنْ
كَلَامِ حَكِيمٍ مِنْ حُكَمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ. قَالَ الْغَزَوِيُّ فِي «حَسَنِ التَّنْبِيهِ» (٣/ ٤٤٦): وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْأَثَرُ عَنْ
نُعَيْمِ بْنِ صَبِيحٍ السَّعْدِيِّ قَالَ: «وَكَانَ يَعِدُّ مِنْ حُكَمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ».

(٦) فِي (س): «وَقَالَ مِسْمَعٌ: سَمِعْتُ».

(٧) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٨٠).

وبإسناده عن أيوب بن خُوَيط، عن قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ فِي جُفْرَةِ عَتِيبٍ^(١) شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ: مَسُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: سَيِّدُ الْأَعْمَالِ التَّقْوَى، ثُمَّ الْبَذْلُ، ثُمَّ بَعْدَ الْبَذْلِ الشُّكْرُ، ثُمَّ بَعْدَ الشُّكْرِ الرِّضَا، ثُمَّ بَعْدَ الرِّضَا التَّعْظِيمُ، ثُمَّ بَعْدَ التَّعْظِيمِ الْحُبُّ لِلَّهِ، وَالْإِجْلَالُ لَهُ^(٢).

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ دَرَجَةَ الْحَبِّ الْمُسْتَحَبَّةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ تَتَأَخَّرُ^(٣) عَنْ دَرَجَةِ الشُّكْرِ وَالرِّضَا وَالتَّعْظِيمِ وَالْبَذْلِ، فَأَمَّا الْوَاجِبَةُ فَإِنَّهَا دَاخِلَةٌ^(٤) فِي التَّقْوَى كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، وَكَذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ يُقَدِّمُونَ دَرَجَةَ الْخَوْفِ عَلَى الشَّوْقِ، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ وَاقِدِ الْعَابِدِ مَوْلَى أُمِّ الْبَنِينِ قَالَ: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعُبَادِ: مَا^(٥) رَأَيْتُ الْقُلُوبَ جُلِيَتْ بِشَيْءٍ أَنْقَى جَلَاءَ مِنْهَا^(٦) بِالْخَوْفِ، قُلْتُ: فَالشَّوْقُ؟ قَالَ: قَدْ يَشْتَاقُ وَصَدَى الرَّيْنِ عَلَى قَلْبِهِ^(٧). قَالَ: وَالرَّيْنُ يَعْنِي الذَّنْبَ عَلَى الذَّنْبِ.

وَكَذَلِكَ كَانَتْ حَالَةُ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، كَالْحَسَنِ وَسُفْيَانَ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ يَظْهَرُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ وَلَوَازِمُهُ، وَيَكْثُرُ كَلَامُهُمْ فِيهِ، وَيَقِلُّ كَلَامُهُمْ فِي الْمَحَبَّةِ وَظُهُورِ آثَارِهَا عَلَيْهِمْ أَيْضًا، حَتَّى حَذَرَ طَوَائِفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِمَّنْ يُكْثِرُ دَعْوَى الشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ بَغَيْرِ

(١) محلة بالبصرة.

(٢) لم أظفر به عند غير المصنف.

(٣) فِي (ب) وَ(س): «متأخرة».

(٤) فِي (س): «تدخل».

(٥) فِي (س): «قلما».

(٦) فِي (ب): «من جلائها».

(٧) لم أجده فيما وقفت عليه من أجزاء ابن أبي الدنيا.

خوفٍ لما ظهرَ منهم من الشَّطْحِ والدَّعاوي، بل والإباحة والحلول، وغير ذلك من المَفسادِ، والله سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

ولهذا كان أبو عبد الله بن الجلاء - وهو من كبار العارفين - إذا سُئِلَ عن المحبة قال: أنا ما لي وللکلام في المحبة أنا أريدُ أن أتعلَّم التَّوْبَةَ^(١).

ويُقال: إنَّ أوَّلَ مَنْ أظهرَ الكلامَ في المحبة والشَّوقِ وَجَمَعَ الهِمَّةَ وصفاءَ الذِّكْرِ^(٢) وتكلَّم به على رؤوسِ النَّاسِ أبو حمزة^(٣) الصُّوفِيُّ، وكان من أعيان العارفين أيضًا، وكان يجتمعُ بالإمام أحمدَ كثيرًا، وكان أحمدُ يسأله ويقولُ له: ما تقولُ يا صوفي^(٤)؟ رضيَ الله عنهم أجمعين^(٥).

وكان عبَّادُ البصرة بعدَ طبقةِ الحَسَنِ وأصحابِهِ، كعبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ، وأصحابِهِ كعتبةٍ وضيغمٍ وغيرهما، تظهرُ منهم المحبةُ كثيرًا مع شدَّةِ الخوفِ أيضًا، وكذلك رابعةً، وكذلك الفضيلُ وداودُ الطَّائِي وغيرهما.

قال إبراهيمُ بنُ الجُنَيْدِ: حدَّثني عبدُ الرَّحِيمِ بنُ يحيى الرَّمْلِيُّ، قال: حدَّثني عثمانُ بنُ عمارةَ قال: قال عتبةُ: مَنْ سَكَنَ حُبَّهُ قلبه لم يجدْ حرًّا ولا بردًا. قال

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣١٤/١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٧/٦، ٩٢).

(٢) في (س): «الفكر»، وفي الحاشية كالمثبت.

(٣) في (ب): «الحمزة».

(٤) ذكره السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٧)، والقشيري في «الرسالة» (١٠٧/١). وأخرجه

الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢٧٥/٢)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢٦٨/١)،

وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥٥/٥١، ٢٥٦). وعلق ابن أبي يعلى عليه بقوله: «قلت أنا: أراد

والله أعلم بسؤاله إن أصاب أقره عليه وإن أخطأ بينه له».

(٥) الدعاء من (س) وحدها.

عَبْدُ الرَّحِيمِ: يَعْنِي مَنْ سَكَنَ حُبُّ اللَّهِ قَلْبَهُ شَغْلَهُ حَتَّى لَا يَعْرِفَ الْحَرَّ مِنَ الْبَرْدِ، وَلَا الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ، وَلَا الْحَارَّ مِنَ الْبَارِدِ^(١).

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: كَانَ عُتْبَةُ يَجِيءُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ الظِّلَّ، فَيَقُومُ عَلَى الْحَصَى، وَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ الطَّوِيلَةَ، قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ: مَا أَرَاهُ يَعْقِلُ بَحْرَهُ^(٢).

وَسَمِعَ عُتْبَةُ قَائِلًا يَقُولُ:

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَاءِ إِنَّ الْمُحِبَّ لَفِي عَنَاءٍ

فَقَالَ عُتْبَةُ: صَدَقْتَ^(٣) وَاللَّهِ، وَغُشِيَ عَلَيْهِ^(٤).

وَقَالَ ضَيْغَمٌ يَوْمًا لِمَوْلَى لَهُ: مَنَعَنِي وَاللَّهُ حُبُّ اللَّهِ مِنَ الْإِسْتِغَالِ بِحُبِّ غَيْرِهِ، ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ^(٥).

وَكَانَ كَلَابُ بْنُ جُرَيٍّْ الْعَابِدُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَالَطَ قَلْبِي مِنْ مُحِبَّتِكَ أَمْرٌ^(٦) يَكِلُ لِسَانِي عَمَّا أَجِدُ مِنْهُ فِي نَفْسِي^(٧).

وَقَدِمَتْ شَعْوَانَةُ الْعَابِدَةُ وَزَوْجُهَا مَكَّةَ، فَجَعَلَا يَطُوفَانِ وَيُصَلِّيَانِ، فَإِذَا كَلَّ أَوْ أَعْيَا^(٨)

(١) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (١٦٦ - ١٦٧).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّة» (٦ / ٢٣٤).

(٣) فِي (ب): «صَدَق».

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّة» (٦ / ٢٣٦)، وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ، أَنْشَدَهَا بِسَنَدِهِ:

السَّرَاجُ الْقَارِئُ فِي «مَصَارِعِ الْعِشَاق» (٢ / ١١٩).

(٥) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٢٣).

(٦) فِي حَاشِيَةِ (س): «مَا».

(٧) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٥٠).

(٨) فِي (س): «كَلَا وَأَعْيَا».

جَلَسَ وَجَلَسَتْ خَلْفَهُ، فيقولُ هو في جُلُوسِهِ: أنا العَطْشَانُ من حُبِّكَ لا^(١) أَرَوَى، وتقولُ هي بالفارسيَّة: يا سيِّدي، أَتَبَّتْ لِكُلِّ داءٍ دواءٌ في الجبالِ، ودواءُ المُحِبِّينَ في الجبالِ لم يَنْبُتْ^(٢).

ودخلوا على عابدٍ بالبصرة وهو يجودُ بنفسه وهو يقولُ: أنا عَطْشَانُ لم أَرَوْ مِنْ حُبِّ رَبِّي، وجائعٌ لم أَشْبِعْ من حُبِّ رَبِّي^(٣).

وقال المُعافَى بنُ عِمْرانَ: كَلَّمْتُ فَتَحًا المَوْصِلِيَّ يومًا في شيءٍ، فقال: لم تتركِ المحبَّةَ لله في قلوبِ أوليائه مَوْضِعًا لمحبةٍ غيره^(٤).

وقال أبو مَعْمَرٍ: نظَرْتُ رابعةً إلى رِياحِ القَيْسِيَّ يومًا وهو يُقَبِّلُ صَبِيًّا صغيرًا من أهله، فقالت: أَتُحِبُّهُ يا رِياحُ؟ قال: نَعَمْ، قالت: ما كنتُ أَحْسِبُ أَنَّ في قلبِكَ مَوْضِعًا فارغًا لمحبةٍ سِواه، فخرَّ رِياحٌ مغشيًا عليه، ثم أَفاق وهو يَمَسِّحُ العرقَ عن وجهه وهو يقولُ: رحمةٌ جعلها الله في قلوبِ عبادِهِ للأطفالِ^(٥).

وقال حُذَيْفَةُ المَرْعَشِيُّ: رأيتُ رجلًا بالرَّقَّةِ وبينَ يَدَيْهِ صَبِيَّانِ يَلْعَبَانِ وَيَقْتَتِلَانِ، وهو مُتَشَاغِلٌ بهما يزجرهما وينهاهما^(٦)، فقلتُ له: إِنِّي أَحْسِبُكَ تُحِبُّهُمَا، قال: لا والله ما^(٧) أُحِبُّهُمَا، ولكن أُرَحِّمُهُمَا، وما أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ منَ الله عزَّ وجلَّ^(٨).

(١) في (س): «ولا».

(٢) أخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/٢٧٦).

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٥٩).

(٤) لم أظفر به عند غير المصنف.

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٣٦)، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (٦/١٩٥).

(٦) في (ب): «فزجرهما ونهاهما».

(٧) في (ش): «لا».

(٨) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣٦١). وأخرج نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء»

(٨/٢٧٠) مختصرًا.

ثُمَّ اتَّسَعَ الْكَلَامُ فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ زَمَنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ وَأَصْحَابِهِ بِالشَّامِ،
كَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ، وَقَاسِمِ الْجَوْعِيِّ، وَكَانَ قَاسِمُ الْجَوْعِيِّ يَقُولُ: شَبَعَ الْأَوْلِيَاءُ
بِالْمَحَبَّةِ عَنِ الْجَوْعِ، فَفَقَدُوا لَذَاذَةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهَوَاتِ وَلَذَاتِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ
تَلَذَّذُوا بِلَذَّةِ لَيْسَ فَوْقَهَا لَذَّةٌ، فَقَطَعَهُمْ عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ^(١).

وَبِالْعِرَاقِ فِي زَمَنِ السَّرِيِّ وَأَصْحَابِهِ كَالْجُنَيْدِ وَأَصْحَابِهِ. وَبِمِصْرَ فِي زَمَنِ ذِي
النُّونِ وَأَقْرَانِهِ.

وَكَانَ بَعْضُ مَنْ يُذَكَّرُ بِالْمَحَبَّةِ رَبِّمَا حَصَلَ لَهُ وَسْوَسةٌ وَنَوْعٌ تَغْيِيرٌ عَقْلٍ كَسَعْدُونَ
وَسَمْنُونَ.

وَكَانَ سَمْنُونَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ، رَبِّمَا حَصَلَ لَهُ نَوْعٌ وَسْوَسةٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا
فِي الْمَحَبَّةِ فَاصْطَفَقَتْ قَنَادِيلُ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَكَسَّرَتْ^(٢)، وَإِنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا فِيهَا فَجَاءَ
طَائِرٌ فَضْرَبَ^(٣) بِمِنْقَارِهِ الْأَرْضَ حَتَّى مَاتَ^(٤).

وَكَذَلِكَ كَانَ رَبِّمَا حَصَلَ لِلشُّبْلِيِّ نَوْعٌ تَغْيِيرٌ^(٥).

وَمِمَّا يُنْسَبُ مِنَ الشُّعْرِ إِلَى بَعْضِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ:

هَجَرْتُ الْوَرَى^(٦) فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنَّعْمِ وَعَفْتُ الْكَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ فَلَمْ أَنْمِ

(١) فِي (س): «فَقَطَعْتَهُمْ» أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٢٢/٩)، وَابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ
دِمَشْقَ» (٢٢٢/٤٩).

(٢) ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «رِسَالَتِهِ» (٤٩١/٢)، وَاللَّفْظُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْمَصْنَفُ يَوْجَدُ بَعِيْنَهُ فِي «الاسْتِقَامَةِ»
لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ (٩٠/٢).

(٣) فِي (س): «يُضْرَبُ».

(٤) أَخْرَجَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «رِسَالَتِهِ» (٤٩١/٢).

(٥) مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «رِسَالَتِهِ» (٤٩١/٢).

(٦) فِي (ش): «الْكَرَى» وَفِي حَاشِيَتِهَا كَالْمُثْبِتِ.

وموّهتُ دَهري بالجنونِ عَنِ الْوَرَى لأكُتَمَ ما بي مِنْ هَواهُ فما انكُتَمَ
فلَمّا رأيتُ الشَّوْقَ والحبَّ بائِحًا كَشَفْتُ قِناعي ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ نَعَمْ
فإنْ قِيلَ مجنونٌ فقد^(١) جَنَنِي الهوى وإنْ قِيلَ مِسْقامٌ فما بي مِنْ سَقَمٍ
وَحَقُّ الهوى والحبِّ والعهدِ بَيْننا وَحُرْمَةُ رُوحِ الأُنسِ في حِنْدِسِ الظُّلُمِ
لقد لَامَنِي الواشُونَ فيكَ جَهالةً فَقُلْتُ لَطَرُفي أَوْضِحِ العُذَرَ فَاحْتَشَمُ
فَعَاتَبَهُمْ طَرُفي بغيرِ تَكْلُمٍ وَأخْبَرَهُمْ أَنَّ الهوى يُورِثُ السَّقَمِ
فِبِالحِلْمِ يا ذا المَنِّ لا تُبْعِدَنِّي وَقَرَّبْ مَزاري مِنْكَ يا بارِئَ النَّسَمِ^(٢)

وكانَ بعضُ هؤلاءِ يقولُ: إذا بِكَ لَمْ أُجَنِّ يا حَبِيبِي فِيمَنْ^(٣)؟

ومن هؤلاءِ مَنْ كانَ يُسَمَّى مجنونًا كَسَعَدُونَ وغيره، وَيُسَمَّونَ عُقلاءَ المجانين،
وكانتْ أقوالُهم وأحوالُهم^(٤) محفوظةً غالبًا، ويصدُرُ منهم مِنَ الكلامِ الحَسَنِ
شيءٌ كثيرٌ، وقد غلِطَ طوائفٌ مِنَ المُتأخِّرينَ في أمرِهِم فَظَنُّوا أَنَّ حالَهُم هو غايَةُ
الكمالِ، وأنَّ العقلاءَ كلَّهُم مِنَ العلماءِ باللهِ والعمالِ لِه اللهِ مُقَصِّرونَ عن درجتِهِم، وهذا
خطأٌ قبيحٌ جدًّا.

ثمَّ أدخَلُوا في طبقَتِهِم مَنْ ليسَ منهم مِنَ المجانينَ الذينَ لا حكمةَ لَدِيهِم، ولا
ظَهَرَ شيءٌ مِنَ الأحوالِ الصَّحيحةِ عَلَيْهِم، وإنَّما يظهَرُ منهمُ مخالفةُ الشَّرِيعَةِ بالأعمالِ

(١) في (س): «فقل».

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٩٨) عن شاب رآه أبو الجوال المغربي ببيت المقدس.

(٣) القائل شيبان من المتعبدين في جبل لبنان والناقل هو ذو النون، في قصة ذكرها ابن الجوزي في

«صفة الصفوة» (٢/ ٤٧١)، وأخرجها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٩٢، ٩٣).

(٤) في (س): «وأفعالهم».

والأقوال الشنيعة، ولكن أحسنوا الظن بهم لما يظهر من بعضهم من الإخبار بالمُغَيَّباتِ في بعض الأحيان ممّا قد يظهر^(١) أكثر منه من الرُّهبان والكُهان.

ونشأ بهذا السبب اعتقاد أن الأولياء لهم طريقة غير طريقة الأنبياء، وأنهم واقفون مع الحقيقة، ولا يتقيّدون بالشرعية، إلى غير ذلك من أنواع الضلال والبدع الفظيعة.

ووجد بعض من كان في صدره التّفاقُ كامناً من أنواع الحلوليّة والإباحيّة سبيلاً إلى إظهار ما في نفوسهم، فعظّم الخطبُ بذلك، واشترأب التّفاقُ.

ولو سمع بذلك أئمة الطّريق العارِفون بالله كالجُنَيْد ومَن قبله لجاهدوا في الله حقَّ جهاده في إنكار هذه العظائم، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحججه، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقد ورد حديث: «إن أكثر أهل الجنة البُله»، وله طريقان ضعيفان، أحدهما مُسنَدٌ من حديث أنس^(٢)، والآخر مُرسَلٌ من مراسيل عمر بن عبد العزيز.

وقد رواه أحمد بن أبي الحواري بإسناده إلى عمر مُرسلاً، ثم قال مُفسِّراً له:

(١) في (ب) و(س): «ظهر».

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (٦٣٣٩) من طريق سلامة بن روح، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس، وقال: «وسلامة كان ابن أخي عقيل بن خالد، ولم يُتابع على حديث أكثر أهل الجنة البله، على أنه لو صحَّ كان له معنى». وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٩٨٢)، وقال: «فذكرت هذا الحديث لأحمد بن أبي عمران، فقال: معناه معنى صحيح. والبله المرادون فيه هم البله عن محارم الله عز وجل لا من سواهم ممن به نقص العقل بالبله».

قال ابن عدي في «الكامل» في ترجمة سلامة بن روح بعد أن روى الحديث من طريقه: «وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر لم يروه عن عقيل غير سلامة هذا».

البُلهُ عن الشرِّ، وأعلى عليَّين لأولي الألباب^(١)، يُشيرُ بذلك إلى^(٢) أنَّ درجة العقلاء أكمل وأعلى من درجة هؤلاء، ويبيِّن أنَّ المراد البلهُ عن الشرِّ الذين لا يعرفونه من شدة سلامة صدورهم، وإنما يعرفون الخير فقط.

وكذلك روي تفسيره عن الأوزاعي، قال إسحاق بن راهويه في «مسنده»: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْغَوْثِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ أُمَّتِي دُخُولًا الْجَنَّةِ الْبُلْهُ»، قَالَ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ عَنِ الْبُلْهِ، قَالَ: الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْخَيْرَ، وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ، وَهَذَا مُرْسَلٌ أَيْضًا^(٣).

وَرَوَى ابْنُ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَأَلْتُ مَالَكًا عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ»، فَقَالَ: الْبُلْهُ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ أَبْلَهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، فَطِنًا فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ، مُسَارِعًا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ، بَطِيئًا عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، رَوَاهُ الْحَسَنُ بْنُ حَبِيبٍ الدَّمَشْقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ ابْنِ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ^(٤).

(١) أخرجه أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابي الدمشقي في «أحاديثه» (مخطوط) من طريق أحمد بن أبي الحواري من مراسيل عمر بن عبد العزيز. وأخرج المعافى بن عمران الموصلي مثله في «الزهد» (١٠٦) من مراسيل محمد بن المنكدر مرفوعاً.

(٢) في (س): «يشير إلى».

(٣) أبو يزيد الغوثي تابعي، وهذا الأثر المرسل في القسم المفقود من «مسند إسحاق بن راهويه».

(٤) تقدم هذا في (ب) على الفقرة التي قبله، ولم أظفر بمصدر ذكر هذا عن ابن وهب غير المصنف.

وقد لخص المصنف رحمه الله تعالى تاريخ مذهب المحبة لدى العباد والمنقطعين إلى الله جلَّ جلاله، وبيَّن عباراته وإشاراته كيف بدأ الانحراف بعدهم في هذا الباب، ويحسن هنا إكمال هذا التلخيص بذكر وفیات من ذكرهم من أكابر الأمة رضي الله عنهم:

فأولهم: الإمام التابعي الجليل الحسن بن يسار البصري، المتوفى سنة (١١٠).

فصل

وَلَنُخْتِمَ الْكِتَابَ بِكَلِمَاتٍ جَوَامِعَ مِنْ أَمْرِ الْمَحَبَّةِ

وَأَبْيَاتٍ رِقَائِقَ مُتَضَمِّنَةٍ لَهَا

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «كِتَابِ الزُّهْدِ» بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ مَنْ أَهْلَكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ الَّذِينَ تُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِكَ؟ قَالَ: هُمُ الْبَرِيَّةُ أَيْدِيهِمْ، الطَّاهِرَةُ قُلُوبُهُمْ، الَّذِينَ يَتَحَابُّونَ بَجَلَالِي،

= وبعده: عبد الواحد بن زيد البصري، توفي بعد (١٥٠) وقيل (١٧٧)، وعتبة الغلام بن أبان البصري، الشهيد في قتال الروم بعد (١٦١)، وداود بن نصير الطائي المتوفى (١٦٢)، ورابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، المتوفاة سنة (١٨٠)، وضيغم بن مالك الراسبي البصري المتوفى (١٨٠)، والفضيل بن عياض المتوفى (١٨٧) رحمهم الله تعالى.

وهؤلاء كلهم بصريون، إلا داود فهو كوفي، والفضيل، وكانوا في زمن الأئمة أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي المتوفى (١٥٧) بالشام، وسفيان بن سعيد الثوري الكوفي المتوفى (١٦١)، ومالك بن أنس المتوفى (١٧٩) بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام، رضي الله عنهم.

وبعدهم: أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني المتوفى (٢١٥)، وأحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون الثعلبي الكوفي ثم الدمشقي المتوفى سنة (٢٣٠)، وقاسم بن عثمان الجوعي الدمشقي المتوفى (٢٤٨)، وذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري المتوفى (٢٤٥)، وسعدون أبو عطاء البصري المتوفى بعد (٢٥٠)، والسري بن المغلس السقطي البغدادي المتوفى (٢٥٣)، وأبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المتوفى (٢٦٩) رحمهم الله تعالى أجمعين.

وهؤلاء من أمصار شتى، وكانوا في زمن الإمام أحمد بن حنبل المتوفى ببغداد (٢٤١) رضي الله عنه. ثم بعدهم: سمنون بن حمزة الخواص البصري المتوفى (٢٩٨)، وسيد الطائفة الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي المتوفى (٢٩٨) وأبو بكر دُلف بن جعفر الشبلي السامرائي المتوفى سنة (٣٣٤). رحمهم الله تعالى أجمعين. جمعنا الله بهم أجمعين في دار كرامته مستشقين نسيم الأنس مع نفحات رياض القدس، ونحن نحبه في الله، مع بُعد الزمان وتفاوت الدرجة، لكنَّ المرء مع من أحب.

الذين إذا ذُكِرْتُ ذُكِرُوا بي، وإذا ذُكِرُوا ذُكِرْتُ بذكرهم، الذين يُسَبِّغُونَ الوُضوءَ في المَكَارِهِ، وَيُنْبِئُونَ إلى ذِكْرِي كما تُنْبِئُ النُّسُورُ إلى وُكُورِهَا، وَيَكْلَفُونَ بِحُبِّي كما يَكْلَفُ الصَّبِيُّ بِحُبِّ النَّاسِ، وَيَغْضَبُونَ لِمَحَارِمِي إذا اسْتُحِلَّتْ كما يَغْضَبُ النَّمْرُ إذا حَرَبَ^(١).

وفي «كتاب المحبة» لإبراهيم بن الجُنَيْد، عن أحمد بن مخلد الخراساني قال: قال الله عز وجل: ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إليهم أشدُّ شوقًا، وما شوق المُشتاقين إليَّ إلا بفضلِ شوقي إليهم، ألا مَنْ طَلَبَنِي وَجَدَنِي، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدَنِي، وَمَنْ ذَا الَّذِي أَقْبَلَ إِلَيَّ فَلَمْ^(٢) أُقْبَلْ إِلَيْهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَوَكَّلَ عَلَيَّ فَلَمْ أَكْفِهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي دَعَانِي فَلَمْ أُجِبْهُ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَنِي فَلَمْ أُعْطِهِ^(٣)؟

قال أحمد بن أبي الحواري: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ سَلَمَةَ السَّرَّاجُ^(٤)، عن أبي جعفر المصري، قال: قال الله عز وجل: يا معشرَ المُتَوَجِّهِينَ إِلَيَّ بِحُبِّي، مَا ضَرَّكُمْ مَا فَاتَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتُ لَكُمْ حَظًّا؟ وَمَا ضَرَّكُمْ مَنْ عَادَاكُمْ إِذَا كُنْتُ لَكُمْ سِلْمًا^(٥)؟

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٨٩)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٣٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤١/٦١) من حديث عطاء.

وَحَرَبُ النَّمْرِ: شدة غضبه. وتصحفت الكلمة في (ش) إلى: «ضرب».

(٢) في (ش): «ولم».

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٢٥٦).

(٤) زاد ناسخ (س) وهما: «عن أبي جعفر السراج».

(٥) هذا من الكتب السابقة، والأثر أخرجه تمام في «قوائده» كما في «الروض البسام» (١٦٢٣)، وأبو

طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢١٤١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩/١٠).

وذكره ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١١٢).

وفي هذا المعنى يقول القائل:

هَنِيئًا لِمَنْ أَمَسَى ^(١) وَأَنْتَ حَبِيبُهُ
وَطُوبَى لَصَبٍّ أَنْتَ سَاكِنُ سِرِّهِ
وَمَا ضَرَّ صَبًّا أَنْ يَبِيتَ وَمَالُهُ
وَمَنْ تَكُ رَاضٍ عَنْهُ فِي طَيِّ غَيْبِهِ
فِيَا عَلَّةً فِي الصَّدْرِ أَنْتَ شِفَاؤُهَا
عُبَيْدُكَ فِي بَابِ الرَّجَا مُتَضَرِّعٌ
بَعِيدٌ عَنِ الْأَوْطَانِ يَبْكِي بِذَلَّةٍ
تَصَدَّقُ عَلَى مَنْ ضَاعَ مِنْهُ زَمَانُهُ
غَدَا خَاسِرًا فَالْعَارُ يَكْفِيهِ وَالْعَنَاءُ

وَلَوْ أَنَّ لَوَعَاتِ الْغَرَامِ تُذِيئُهُ
وَلَوْ بَانَ عَنْهُ إِلْفُهُ وَقَرِيبُهُ
نَصِيبٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيبُهُ
فَمَا ضَرَّهُ فِي النَّاسِ مَنْ يَسْتَغِيْبُهُ
وَيَا مَرَضًا فِي الْقَلْبِ أَنْتَ طَبِيبُهُ
إِذَا لَمْ تُجِبْهُ أَنْتَ مَنْ ذَا يُجِيبُهُ
وَهَلْ ذَاقَ طَعْمَ الذُّلِّ إِلَّا غَرِيبُهُ
وَلَمْ يَذَرْ حَتَّى لَاحَ مِنْهُ مَشِيبُهُ
وَقَدْ آَنَّ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ مَغِيبُهُ ^(٢)

وَمِمَّا أَنْشَدَهُ أَبُو يَزِيدَ ^(٣) الْبَحْرَانِيُّ ^(٤) مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ:

مُحِبُّ نَفَى مَا التَّدَّ مِنْ غَمْضِهِ الْفِكْرُ
وَبَاتَ يُرَاعِي أَنْجُمًا بَعْدَ أَنْجُمٍ
وَيَخْدِمُ مَوْلَاهُ بِالطَّفِ خِدْمَةً
بِهِ وَبِمَنْ سَاوَاهُ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقَى

فَأَعْقَبَهُ ضَرًّا فَأَنْهَكَهُ الضُّرُّ
وِيرَعَدُ مَنْ خَوْفٍ إِلَى أَنْ بَدَا الْفَجْرُ
وَيُسْعِدُهُ فِي حُسْنِ خِدْمَتِهِ الصَّبْرُ
إِذَا الْجَدْبُ عَمَّ الْأَرْضَ يُسْتَنْزِلُ الْقَطْرُ

(١) في (س): «أضحى».

(٢) الأبيات لمحمود بن القاسم ابن أبي البدر الملحي الواعظ الواسطي، المتوفى (٧٤٤) رحمه الله.

والأبيات في ترجمته في «فوات الوفيات» لابن شاعر الكتبي (١٠٨/٤).

(٣) في (ب): «أبو زيد»، وفي (س): «أحمد بن يزيد» وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٤) هكذا مهملة، وتحتل أن تكون: «البحراني» وأن تكون: «النجراني» ولم تتبين لي.

مُحِبُّ خَلا بِالْحَبِّ خُلُوةً وَاجِدٌ
 يَقُولُ بَذَلْتُ الْحَبَّ يَا مُنْتَهَى الْمُنَى
 فَلَا تُخْزِنِي يَا رَبِّ وَارْحَمْ تَضَرُّعِي
 وَقَدْ خِفْتُ مِنْ يَوْمِ الْمَعَادِ مَخَافَةً
 بِفَضْلِكَ زِدْنِي مِنْكَ قُرْبًا وَأَدْنِي
 شِفَائِي سَقَامِي^(١) فِي الْهَوَى هُوَ قَاتِلِي
 وَفِي كِبْدِي مِمَّا أَقَاسِي مِنَ الْهَوَى
 غَزَا الْحَبُّ قَلْبِي قَاصِدًا بِجُيُوشِهِ
 وَحَقِّكَ^(٢) لَا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ بَاقِيًا
 وَأَنْشَدْتُ بَعْضَ الْعَارِفَاتِ:

أَحِبُّكَ حُبِّينِ حُبِّ الْوِدَادِ
 فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوِدَادِ
 وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ
 فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي
 وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لَذَاكَ
 فَحُبُّ شُغْلْتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
 فَكَشَفُكَ لِلْحُبِّ حَتَّى أَرَاكَ
 وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ^(٣)

(١) فِي (س): «مقامي» تصحيف.

(٢) فِي حَاشِيَةِ (ش): «لوعات نسخة».

(٣) فِي (ب) وَ(س): «قَسْرًا».

(٤) فِي (ب): «وَحَبِّكَ» تصحيف.

(٥) لَمْ أَظْفَرْ بِالْأَبْيَاتِ عِنْدَ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٦) مِمَّا سَمِعَهُ ذُو النُّونِ مِنْ جَارِيَةٍ بِالسَّاحِلِ قَالَتْ الْآيَاتُ ثُمَّ مَاتَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ. أَخْرَجَهُ السَّرَاجُ الْقَارِي

فِي «مِصْرَاعِ الْعِشَاقِ» (١/ ٢٧٥).

وَأَنْشَدَتْ أُخْرَى مِنْهُنَّ:

حَبِيبٌ لَيْسَ يَعدُّ لَهُ حَبِيبٌ وَلَا لِسِوَاهُ فِي قَلْبِي نَصِيبٌ
حَبِيبٌ غَابَ عَنِ بَصَرِي وَشَخْصِي وَلَكِنْ عَنِ فُؤَادِي مَا^(١) يَغِيبُ^(٢)
وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ:

أَعَمَيْتَ عَيْنِي عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا فَأَنْتَ وَالرُّوحُ مِنِّي غَيْرُ مُفْتَرِقٍ
إِذَا ذَكَرْتُكَ وَافَى مُقَلَّتِي أَرْقُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَلَقِ
وَمَا تَطَابَقَتِ الْأَجْفَانُ عَنْ سِنَةٍ إِلَّا رَأَيْتُكَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ^(٣)
أَرْحَمَ حَشَاشَةَ نَفْسٍ فِيكَ قَدْ تَلَفَتْ قَبْلَ الْفِرَاقِ^(٤) فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ
وَلَوْ مَضَى الْكُلُّ مِنِّي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا وَإِنَّمَا عَجَبِي فِي الْبَعْضِ كَيْفَ بَقِيَ^(٥)
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

وَاللَّهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَاسِي
وَلَا هَمَمْتُ بِشُرْبِ الْمَاءِ مِنْ عَطَشٍ إِلَّا رَأَيْتُ خِيَالًا مِنْكَ فِي الْكَاسِ^(٦)

(١) فِي (س): «لَا».

(٢) هُمَا لِرَابِعَةِ بِنْتِ إِسْمَاعِيلَ الشَّامِيَةِ زَوْجِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِي رَحِمَهُمَا اللَّهُ. وَالْبَيْتَانِ فِي تَرْجُمَتِهَا مِنْ «تَارِيخِ دِمَشْقَ» لِابْنِ عَسَاكِرَ (١١٥/٦٩).

(٣) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ مِمَّا سَمِعَهُ ذُو النُّونِ الْمَصْرِيُّ مِنْ عَابِدِ بَجْبَلِ الْكَلَامِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٤٦٧/٢).

(٤) فِي (ب): «الْمَمَات».

(٥) هَذَانِ الْبَيْتَانِ لِأَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ الرُّوذِبَارِيِّ، ذَكَرَهُمَا الْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١٨٣/٢) بِتَقْدِيمِ الْبَيْتِ الْآخِرِ عَلَى الَّذِي قَبْلَهُ.

(٦) مِمَّا سَمِعَهُ الْهَجَوِيرِيُّ مِنْ دُرُوَيْشٍ فِي جَبَالِ أَذْرَبَيْجَانَ كَمَا فِي «كَشَفِ الْمَحْجُوبِ» لَهُ (ص: ٦٥٨). =

ولبعضهم:

ساكنٌ في القلبِ يعمُّره لستُ أنساهُ فأذكُرُهُ
غابَ عن سَمْعِي وَعَن بَصَرِي فسُوِّدا القلبُ بُصْرُهُ^(١)
وأنشدَ آخرُ منهم:

مَنْ عامَلَ اللهَ بِتَقْوَاهُ وكانَ في الخلوةِ يرعاهُ
سَقاهُ كأسًا من صفا حُبِّه يُسْلِيهِ عن لَذَّةِ دُنْيَاهُ
فأبعَدَ الخلقَ وأقصاهُم وانفَرَدَ العبدُ بمَولاهُ^(٢)
وأنشدَ بعضُهم:

أنتَ تَدْرِي يا حَبِيبِي مَنْ حَبِيبِي أنتَ تَدْرِي
وَنُحوْلُ الجِسمِ والِدَم عِزُّ يَبُوحانِ بِسِرِّي
يا عَزِيزِي قد كَتَمْتُ الـ حَبًّا حَتَّى ضاقَ صَدْرِي^(٣)
وأنشدَ بعضُهم:

= وذكره ابن الروزني في «حماسة الظرفاء» (٢/ ٨٩) ولم ينسبه، وابن الجوزي في «المدح» (ص: ٢٢٢) ولم ينسبه لأحد، وكذلك المستعصي في «الدر الفريد» (١٠/ ٢٢١).

(١) ذكر نحو هذين البيتين عن الجنيد: القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٦٢).

(٢) مما سمعه ذو النون من شاب في طريقه إلى الحج. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٧٦)، ونسبه أبو بكر بن العربي في «المسالك» (٣/ ٣٢٠) إلى سعدون المجنون.

(٣) مما سمعه ذو النون المصري من جارية متعلقة بأستار الكعبة، ذكره ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢/ ٢٤).

أَبَى الْحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَبَا
 إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وَإِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا
 وَيَبْدُو فَأَفْنَى ثُمَّ أَحْيَا بِهِ لَهُ^(١) فَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلْذَّ وَأَطْرَبَا^(٢)
 سُئِلَ إِبْرَاهِيمُ الْقَصَّارُ: هَلْ يُبْدِي الْمُحِبُّ حُبَّهُ^(٣)؟ أَوْ هَلْ يَنْطِقُ بِهِ؟ أَوْ هَلْ يُطِيقُ
 كِتْمَانَهُ؟ فَتَمَثَّلَ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

ظَفَرْتُكُمْ بِكُتْمَانِ اللِّسَانِ فَمَنْ لَكُمْ بِكُتْمَانِ عَيْنِ دَمْعِهَا الدَّهْرَ يَذْرِفُ
 حَمَلْتُمْ^(٤) جِبَالَ الْحُبِّ فَوْقِي وَإِنِّي لَأَعِجُزُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأَضْعُفُ^(٥)
 وَمَنْ كَلَامِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِي: لَوْ سَمِعَ الْخَلَائِقُ صَوْتَ النَّيَاحَةِ عَلَى الدُّنْيَا
 فِي الْغَيْبِ مِنْ أَلْسِنَةِ الْفَنَاءِ لَتَسَاقَطَتِ الْقُلُوبُ مِنْهُمْ حُزْنًا، وَلَوْ رَأَتْ الْعُقُولُ بَعْيُونَ
 الْإِيمَانَ نُزْهَةَ الْجَنَّةِ لَذَابَتِ النُّفُوسُ شَوْقًا، وَلَوْ أَدْرَكَتِ الْقُلُوبُ كُنْهَ الْمَحَبَّةِ لَخَالَقَهَا
 لَتَخَلَّعَتْ مَفَاصِلُهَا وَلَهَا، وَلَطَارَتِ الْأَرْوَاحُ إِلَيْهِ مِنْ أَبْدَانِهَا دَهْشًا، فَسُبْحَانَ مَنْ أَغْفَلَ
 الْخَلِيقَةَ عَنْ كُنْهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَأَلْهَاهُمْ بِالْوَصْفِ عَنْ حَقَائِقِ هَذِهِ الْأَنْبَاءِ^(٦).

(١) فِي (س): «بِقُرْبِهِ».

(٢) مِمَّا سَمِعَهُ الْجَنِيدُ مِنْ جَارِيَةٍ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، فِي قِصَّةِ أَخْرِجَهَا ابْنَ الْجَوْزِيِّ فِي «مَثِيرِ الْعَزْمِ

السَّاكِنِ إِلَى أَشْرَفِ الْأَمَاكِنِ» (١٢/٢).

(٣) فِي (ب): «الْحُبِّ».

(٤) فِي (س): «حَمَلْتُ».

(٥) أَخْرَجَهُ السَّلْمِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ» (ص: ٤٥)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٠/٣٥٤).

وَهُنَا تَنْتَهِي النُّسْخَةُ (س).

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٠/٥٦ - ٥٧)، وَذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «التَّبَصُّرَةِ» (٢/٦١)،

و«صِفَةُ الصُّفُوَّةِ» (٢/٢٩٤).

(١) ومما أنشدَه بعضهم:

أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتُ عَلَى فُؤَادِي بِحُبِّكَ ^(٢) أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَ
 فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ غَضَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصُرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ
 أُحِبُّكَ لَا يَبْغِضِي بَلْ بَكُلِّي وَإِنْ لَمْ يَبْقِ حُبُّكَ لِي حَرَاكَ
 وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفَعْلُ عِنْدِي وَتَفَعَّلْهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ
 وَفِي الْأَحْبَابِ مَخْصُوصٌ بَوَاجِدٍ وَآخِرُ يَدْعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَ
 إِذَا اشْتَبَهَتْ ^(٣) دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ ^(٤) مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى
 فَأَمَّا مَنْ بَكَى فَيَذُوبُ وَجَدًّا وَيَنْطِقُ بِالْهَوَى مَنْ قَدْ تَشَاكَى ^(٥)

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ^(٦)

(١) هنا يبدأ ما يوجد في مجموع مكتبة فاتح!!

(٢) في (ش): «بقلبي» وفي حاشيتها كالمثبت.

(٣) في نسخة (الفاتح): «اشتبكت».

(٤) في (ش): «تباين».

(٥) الأبيات للمتنبي من قصيدة طويلة، وهي في «ديوانه» بشرح العكبري (٢/ ٣٨٥ - ٣٩٧) قالها في

أبي شجاع عضد الدولة، وليس منها البيت الثالث فهو لأبي نواس، والرابع سبق تخريجه في الباب

التاسع من هذا الكتاب، والسابع لم يذكره سوى ابن الجوزي في «المدح» (ص: ٥٠٢)، وكان

المصنف أخذ جملة الأبيات منه وقد ذكره في «شرح حديث ليك» و«كلمة الإخلاص».

(٦) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة بنسخة قرئت على المصنف رحمه الله تعالى فصَحَّ...».

وجاء بعد ذلك في (ش):

«مسألة كشف الرأس للقاضي بدر الدين القدسي تغمده الله برحمته. كتبها العبد الفقير إلى الله تعالى، =

= خادم الفقراء، وتراب أرجلهم: محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، ولمن قرأ فيه، ودعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين وذلك بتاريخ حادي عشر من شهر رجب الفرد سنة ستة وتسعين وسبع مئة.

ومنه يستفاد تاريخ نسخ كتابنا هذا.

وفي خاتمة (ب): «والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين. ووافق الفراغ منه في ليلة تُسفرُ صبيحتها عن يوم الاثنين المبارك خامس عشر ذي الحجة الحرام سنة سبع عشرة [وثمان مئة] وصلى الله على محمد، والحمد لله وحده» (وما بين معكوفين وضعت من عندي وفي مكانه كلمة لم تتبين لي قراءتها).

وفي خاتمة (نسخة الفاتح): «تم الكتاب بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

وفي خاتمة (س): «تم الكتاب بحمد الله وعونه وإحسانه وطوله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، وذلك بقلم عبده عبد الله بن إبراهيم الربيعي في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣».